أحمد الجدع

فدائيون من عصر الرسول





فدائيون من عصر الرسول

الطبعة الأولى ١٩٧٩م
الطبعة الرابعة (مزيدة ومنقحة)
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
الطبعة الخامسة
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الناشر
دار الضياء للنشر والتوزيع
الاردن - عمّان - مركز العبدلي التجاري
ص. ب ٩٢٥٧٩٨
☎ ٦٧٨٥٠٢

أحمد الجدع

فدائيون من عصر الرسول



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

عندما كتبت مقدمة الطبعة الأولى بعنوان «مدخل» سنة ١٩٧٩م، ذكرت فيها اموراً حول العمل الفدائي الذي تبناه جماعة من المسلمين واتبعوا فيه مبادىء مستوردة من اعدائهم، واتخذوا لهم قدوة من هم لهم اعداء، وحذرت يومها من مغبة السير في هذا الطريق، وحاولت ان انبه الى طريق الفداء الصحيح فكتبت عن حياة ثلاثة من الفدائيين الصحابة رضوان الله عليهم، وحاولت توجيه الانظار الى منهجهم في الفداء حتى يكون ذلك قدوة لمن اراد ان يسلك هذا الطريق.

ومع مرور الايام وتعاقب الاحداث تبين لكثير من الناس صدق المنهج الذي دعوت اليه، فقد وقعت الحركة الفدائية في شراك الاعداء فلم ينفعها من تسمت بأسمائهم او سلكت مناهجهم او اتخذتهم قدوة لها، فقد غاب كل هؤلاء عن الساحة عندما جد الجدّ ومسّت الحاجة الى العون والمساعدة...

وبان الصبح لذي عينين، فإن هذه الامة التي نصرها الله بالإسلام وأعزها به لا يمكن ان تنتصر بغيره من المبادىء، وان الله الذي ينهانا ان نتخذ اعداءنا اولياء لا يمكن ان يقدر لنا النصر بهم، لهذا كان علينا ان نعيد الدعوة لهؤلاء الذين ضلوا السبيل لكي يعودوا الى الطريق القويم، فبالاسلام انتصرنا من قبل، وبه سوف ننتصر من بعد، ولن ينفعنا زخرف المبادىء المستوردة او بريق الدعوات المرقعة من الشرق او الغرب، ولا يستطيع اولئك الذين آمنوا بمبادىء

الاعداء الا ان يكونوا لهم اولياء، فكيف نعتمد عليهم في التحرير والفداء؟

لقد كان لهذا الكتاب صدى طيب، فتكررت طبعاته في فترات متقاربة، واستجابة لهذا القبول من القراء فقد اضفت له في طبعته الرابعة هذه فصولاً ثلاثة تحدثت فيها عن حياة ثلاثة آخرين من الصحابة الذين لهم في العمل الفدائي مساهمة وفي الدفاع عن الاسلام جولات محمودة، ليصبح في هذا الكتاب حديث عن ستة من الصحابة الابرار رضوان الله عليهم أجمعين.

وقبل ان اختم مقدمتي هذه احب ان اعود فأكرر ما قلته في مدخل الطبعة الاولى بأن الدائرة للاسلام على اعدائه، وان موعد النصر معقود بعودة المسلمين لدينهم، وقد كنت اوردت بعض الدلائل التي تشير الى توجه المسلمين الى هذه العودة المنشودة، ويستطيع القارىء ان يعود اليها ليتأكد انها اليوم اوضح منها عندما كتبت عنها قبل خمس سنين، وانها سوف تكون اشد وضوحا في المستقبل القريب ان شاء الله.

أسأل الله تعالى ـ جلّت قدرته ـ ان يُثيبني على ما كتبت، وان يغفر لي ان كنت زللت، والحمد لله اولا وآخرا.

عمّان: في الثامن عشر من ذي القعدة عام ١٤٠٤هـ

المؤلف

مدخل

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

بوادر لبشائر :

نحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري ...

ورسول الله ﷺ يقول : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »(١)

واعتماداً على قول الهادي الأمين ، فإن التفاؤل يملأ قلوبنا ، ويحدونا أن نتطلع بيقين وشوق لمشرق جديد لأمة الإسلام .

وقد بدت لنا إرهاصات هذا المشرق مع قرب إطلالة هذا القرن الجديد ..

---

(١) رواه أبو داوود وصححه الحاكم ، ورواه البيهقي في المعرفة عن أبي هريرة ،رفوعاً، قال الحافظ العراقي وغيره سنده صحيح، ولهذا أشار السيوطي لصحته في الجامع الصغير .

هناك حوادث نراها بقلب الإيمان إرهاصات ، ويراها غيرنا نذر سوء .. فاشتداد الحملة على الإسلام والمسلمين نعدها من إرهاصات البعث الإسلامي الوشيك ، ويراها غيرنا نذر سوء لا تبشر بخير ولا تبعث على الأمل .. ونرى ، بحس المؤمنين ، أن هذه الحملات الشرسة على الإسلام وأهله ، ما كانت لتنبعث من أعداء الله بهذا العنف لولا شعورهم بضخامة الصحوة الإسلامية وبخطورتها عليهم.

فصحوة الإسلام اليوم ، بما نراه من بعث إسلامي في جميع مناحي الحياة ، جديرة بأن تدفعنا لمزيد من التيقظ ، ومزيد من العمل في سبيل الله .

فالإسلام اليوم آخذ في وضع أقدامه بثبات في مجال الاقتصاد ، وتجربة المصارف الاسلامية الناجحة علامة على هذا الطريق .

وبدأ الإسلام يبرز وجهه المشرق في الحياة الاجتماعية ، فالطلاب في مدارسهم وجامعاتهم أخذوا يتجمعون حول شعائر الاسلام وأهدافه وغاياته ، والأسر الكريمة بدأت تأخذ بتعليمات الإسلام في لباسها وحياتها اليومية ...

وبدأ الإسلام مسيرته في مجال الصحافة المؤمنة ، فانتشرت المجلات الإسلامية وأخذت تجاهر بمبادىء الإسلام ، وتدعو لمثله ، وتحض على تحكيمه في جميع مجالات الحياة .

وتحركت طلائع الأدب الاسلامي ، شعره ونثره ، وبدأ إنتاجه يملأ الأسواق ، وبدأ تأثيره يؤتي أكله في أوساط المثقفين من شباب الاسلام ...

والاسلام المجاهد بدأت صيحاته تدوي في جميع الاقطار ، وبدأ رجاله يحملون أرواحهم فوق أكفهم ويقذفون بها في ساحات الوغى ، دفاعاً عن الاسلام ، وجهاداً في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض ، لتكون الحاكمية لله وحده .

والجهاد بالسلاح لا بد أن يدعمه الجهاد بالكلمة ، لأن الجهاد بالكلمه ينير أمام المجاهدين بالسلاح طريقهم ويوضح لهم أهدافهم .



عهد الضياع :

لقد مرت علينا أعوام حسب فيها كثير من أبناء المسلمين أن الفداء والقتال في ساحات الوغى مقصور على أعداء الاسلام ، وأن الإبداع في مجال الحرب والنزال لا يكون إلا عند المشركين ، وعندما حاول هؤلاء المخدوعون بهذه الأوهام أن يقاتلوا أخطأوا الطريق ، إذ توهموا أن الانتصار لا يتحقق إلا إذا تشبهوا بأعداء الله ، فسمعنا من سمى نفسه جيفارا وجياب وكاسترو ، وسمعنا من تجمع

تحت راية لينين وماوتسي تونغ وكارل ماركس ، ورأينا من قبل بقيادة ميشيل وجورج وأنطون ، ثم رأينا من حمل عقائد العلمانية والاشتراكية والقومية ، ونزل يقاتل بها بظن أنها تعينه في حياته وتنصره في قتاله .

ولاقت هـذه الشعارات وتلك الأفكار هزائم متوالية ، فبدلاً من أن تنصر الأمة على أعدائها أنزلت بها الهزيمة تلو الهزيمة والنكبة بعد النكبة ، وألحقت بها العار تلو العار ، حتى ظن الناس أن عدوهم لا يغلب وأن سلاحه لا يقهر .

جهود الدعاة :

وهب دعاة الاسلام في هذا الخضم المتلاطم من الهزائم والنكبات يتداركون الأمة ويوجهونها نحو الطريق القويم ، طريق الجهاد في سبيل الله ، الطريق الذي يؤدي لا محالة الى النصر المبين ، وهذا وعد رب العالمين .

ومع هذه الصحوة المباركة للجهاد الاسلامي لا بد لنا أن نضع المعالم الهادية في طريق أولئك الأحبة المجاهدين ، وهذه المعالم يجب أن تستقى من المناهل العذبة ، مناهل الإسلام والرسول والصحابة الأطهار .

هذا الكتاب :

وحتى يثمر جهاد المسلمين اليوم ، كما أثمر من قبل ،

لا بـد له أن يكون خالصاً من كل شائبة ، متجرداً لله وحده ، سالكاً سنن المجاهدين الأولين من صحابة رسول رب العالمين .

فكان هذا دافعنا لأن نؤلف هذا الكتاب ، وذلك لنضع بين يدي رجال الاسلام نماذج للرجال الذين نذروا أنفسهم لله وضحوا في سبيله ، فكانوا رمزاً للفداء ، وحققوا بجهادهم كل الأماني التي تتطلع إليها الإنسانية ، فقد حققوا الحاكمية لله في الأرض ، وبها تحققت سعادة البشرية بتأمين العدالة المطلقة للناس أجمعين .

فكتابنا هذا « فدائيون من عصر الرسول» منارة هادية لمن أراد أن يسلك طريق الفداء الحق المؤدي الى النصر المبين – بإذن الله – ، وقد أوردنا فيه العمليات الفدائية التي قام بها ثلاثة من الصحابة الأبرار ، وفصلناها ، ثم رأينا أن نفصل كذلك حياة هؤلاء الأبطال من الميلاد إلى الموت ، وسنرى أن حياتهم كلها فداء وجهاد في سبيل الله .

وحتى يكون هذا الكتاب مؤدياً ما قصدناه من وضعه على الوجه الأكمل ، وضعنا فيما يلي موجزاً لعالم الفداء والقتال عند المجاهدين على عهد الرسول ، وذلك بالحديث عن هذا الفداء بشماراته ونداءاته وأراجيزه وألقاب أبطاله ، حتى تعم الساحة الاسلامية المجاهدة الصبغةُ الإلهية ، وحتى ننبذ كل الشوائب التي علقت بالأهداف والمثل عند المسلمين

أثناء الغفلة التي سادتهم لفترة طويلة خلال القرن الهجري الذي نودعه .



شعارات الحروب عند المسلمين :

كان للمسلمين شعاراتهم في المعارك الحربية التي خاضوا غمارها ، وهي الكلمات التي يتعارفون بها اثنـاء احتدام القتـــال .

ففي معركة بدر كان شعار المسلمين : أَحدٌ أَحد .

وفي معركة أُحــــد كان شعارهم : أَمِت أَمِت .

وفي معركة الخندق كان شعارهم : « حم لا يُنصرون » آية من كتاب الله .

وفي غزوة بني المصطلق وفي غزوة خيبر كان شعارهم : « يا منصور أمت أمت » .

ويوم الفتح الأكبر ، فتح مكة ، كان الجيش الاسلامي ثلاث فئات ، لكل فئة شعارها ، فالمهاجرون كانوا كتيبة ، شعارها : يا بني عبد الرحمن .

والخزرج كتيبة ، شعارها : يا بني عَبد الله .

والأوس كتيبة ، شعارها : يا بني عُبيد الله .

هتافات المسلمين في الحروب :

وكان للمسلمين هتافاتهم المتميزة أثناء القتال :

ففي كل المعارك كان يسود الهتاف الخالد : « الله أكبر.. الله أكبر » .

وفي غزوة خيبر هتف الرسول ﷺ متفائلا عندما أطل الجيش الاسلامي على حصون خيبر : « الله أكبر خربت خيبر ».

وهتف علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - يحثُّ المسلمين على القتال فقال : « يا كتيبة الإيمان » .

وهتف الرسول – عليه السلام – في غزوة ذي قرد ، يحث فرسان المسلمين على القتال فقال : « يا خيل الله اركبي » ثم أصبح هـذا الهتاف متداولاً في كل المعارك التي تلت هذه الغزوة .

وكان المسلمون يهتفون وهم يباشرون تحصين المدينـة بحفر الخندق في غزوة الاحزاب :

« نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا »

وكان رسول الله ﷺ يجيبهم ويقول : « اللهم إن الخير خير الآخرة ... فارحم الانصار والمهاجرة » .

فما أروع هذه الصورة وما أعظمها ، المسلمون المجاهدون

يعلنون التفافهم حول رسول الله ويعلنون إخلاصهم وولاءهم له ويعلنون انهم سيستمرون في الجهاد إلى آخر لحظة من حياتهم ، يعلنون هذا وهم يمارسون الجهاد ، فيتبعون القول بالعمل الجاد المخلص ، ورسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – يعجبه منهم هذا الموقف العظيم ويروقه منهم هذا الاخلاص العميق ، فيدعو الله لهم بالرحمة وبخير الآخرة ، لأن خير الآخرة هو الخير ، ومن ظفر به فقد فاز بحظ عظيم .

أما يوم الفتح الاكبر فقد ارتجت أرجاء مكة على هتاف المسلمين وراء رسول الله – عليه السلام – وهو يتلو : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ».

توديع المجاهدين واستقبالهم :

وكان للمسلمين عباراتهم الخاصة في توديع المجاهدين وفي استقبالهم :

فكان المسلمون يودعون الجيوش الغازية بقولهم : « صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين » .

وكان رسول الله ﷺ يعلم الجيوش الإسلامية أن تقول وهي عائدة من جهادها : « آيبون تائبون – إن شاء الله – لربنا حامدون » .

وعندما ودع الرسول – عليه السلام – الجماعة الفدائية الذاهبة لقتل كعب بن الأشرف اليهودي قال لهم : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » .

وعندما عادت هذه الجماعة وقد أنجزت مهمتها بنجاح استقبلهم رسول الله بقوله : «أفلحت الوجوه» ، ورد عليه الفدائيون المنتصرون : «أفلح وجهك يا رسول الله» .

وفي كل عملية فدائية ناجحة كان استقبال رسول الله للعائدين بهذه العبارة المشرقة : « أفلحت الوجوه » ، وكان الرد دائماً : « أفلح وجهك يا رسول الله » .

نعم ، فما كانت هذه الوجوه لتفلح لولا رسول الله ودعوة التوحيد، ولن تفلح للمسلمين وجوه إلا بما أفلحت به على عهد رسول الله .

أراجيز القتال عند المسلمين :

وكان للمسلمين في معاركهم أراجيزهم الحماسية الدافقة التي تمتلىء إخلاصاً وتتفجر إيماناً :

فهذا عمير بن الحمام ينطلق مقاتلاً يوم بدر وهو يرتجز:

ركضاً الى الله بغير زاد   إلا التـُّقى وعمل المعاد

وهذا أبو دجانة[1] ينطلق بسيف رسول الله إلى حومة الوغى يوم أُحد وهو يرتجز :

أنا الذي بايعني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول أضرب بسيف الله والرسول

وهذا جعفر بن أبي طالب يعقر فرسه ويندفع مقاتلاً يوم مؤتة وهو يرتجز :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردة شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

وينزل عبد الله بن رواحة إلى قتال الروم بعد استشهاد جعفر وزيد وهو يرتجز :

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلها هديت

ولكي ندرك عظمة أولئك المجاهدين وعظمة الأهداف

(١) سماك بن خرشة الأنصاري ، شهد بدراً مع رسول الله ، وعرض رسول الله سيفه يوم أحد وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقال أبو دجانة: أنا ، فما حقه يا رسول الله ! قال : لا تقتل به مسلماً ، ولا تفر به من كافر ، فأخذه ونزل إلى المعركة وهو يرتجز بهذين البيتين ، استشهد باليمامة في حروب الردة .

التي ضحوا من أجلها علينا أن نعيد المقاطع التاليـة من الأراجيز السابقة ، ونتمعّن في معانيها مرة ومرة :

ركضاً إلى الله بغير زاد ...

أضرب بسيف الله والرسول...

يا حبذا الجنة واقترابهـا ...

يا نفس إلا تقتلي تموتي ...

الألقاب الحربية للصحابة :

هذا الجهاد العظيم لصحابـة رسول الله – رضوان الله عليهم – جعلهم يكتسبون ألقاباً حربية بقيت بعدهم مقترنة بأسمائهم ، تشهد على جسامة ما قدموه من تضحية وفداء :

فجعفر بن أبي طالب : ذو الجناحين وجعفر الطيار .

وحمزة بن عبد المطلب : أسد الله وأسد رسوله .

وخالد بن الوليـــد : سيف الله المسلول .

والمنذر بن عمرو الساعدي : المعنق ليموت ، سمي بذلك لإسراعه إلى الشهادة .

وحنظلة بن أبي عامر : غسيل الملائكة .

وعاصم بن ثابت [1] : حمي الدّبر .

ومحمد بن مسلمة الأنصاري : فارس نبي الله .

وأبو قتادة بن ربعي الأنصاري : فارس رسول الله .



البشائر :

وبعد ،

إن أعداء الله المتمثلين في اليهـود والوثنيين والملحدين والنصارى والمنافقين من أتبـاعهم ، حشدوا قواهم لحرب الإسلام وأهله ، فعلى المسلمين أن يجاهدوهم بمـا علـّمهم الله ورسوله ، وأن يعدوا للدفاع عن دينهم ما استطاعوا .

وعندما ننطلق في حرب أعدائنا من منطلقات الإسلام فإن وعد الله بالنصر آتٍ لا محالة ، وقد بشرتنا أحاديث رسول الله ﷺ بهذا النصر المبين .

---

(١) قتل عاصم يوم أحـد أخوين ، فنذرت أمهما سلافة بنت سعد أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر، وجعلت لمن جاء برأسه مئـة ناقة، وعندما غدرت بنو لحيان بصحابة رسول الله يوم الرجيـع استشهد عاصم ، وحاولت بنو لحيان أخذ رأسه إلى سلافة، فبعث الله الدبر فحمته ، فسمي حمي الدبر، والدبر جماعة النحل والزنابير .

أما النصر على اليهود فقد وردت البشارة به في قوله عليه السلام: « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود »[1]

أما البشرى العامة بسيادة الاسلام في كل بقاع الأرض فقد جاءت في قوله ﷺ: « إن أول دينكم نبوة ورحمة، وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، تكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله، ثم يكون ملكاً جبرياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي الاسلام بجرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء، وساكن الأرض، لا تدع السماء من مطر إلا صبته مدراراً،

---

(١) رواية الإمام مسلم نقلا عن مشكلة المصابيح للتبريزي الحديث رقم ٥٤١٤، والغرقد شجيرة طولها من متر إلى ثلاثة، ساقها وفروعها بيض، تشبه العوسج في أوراقها اللحمية وفروعها الشائكة وأزهارها الطويلة العنق، عبقة الريح بيضاء مخضرة وثمرتها مخروطية.

ولا تدع الارض من نباتها ولا بركاتها شيئاً إلا أخرجته»[1].

اللهم عجل بزوال مـا نحن فيه من حكم جبري حتى ننعم بالخلافة التي تسير على سنة نبيك.

اللهم إننـا نعلم أن هذه الخلافة لا تأتي إلا بالعمل الخالص لوجهك الكريم، وبالجهاد في سبيلك، فوفقنا اللهم لذلك، إنك إن أردت فعلت، وأنت أرحم الراحمين.

اللهم اجعل عملنا هذا خالصاً لوجهك الكريم، وانفع به، والحمد لله أولاً وآخراً.

المؤلف

الدوحة في ٢٢ شعبان ١٣٩٩ هـ.

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد والبزار والطيالسي. وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الثقات» ورواه الطبراني في الأوسط من حديث حذيفة، وذكره الألباني في الأحاديث الصحيحة.

وألقى الإسلام بجرانه اي ثبت واستقر.

وَكنتَ إذَا هَمَّ النَّبِيُّ بكافِرٍ

سَبَقتُ إليه باللِّسانِ وَباليَدِ

عبد الله بن أنيس

عَبْدُ اللهِ بنُ أُنَيْس

في مجتمع يثرب :

ماذا يفعل أطفال يثرب منذ أن تشرق شمسهم إلى أن تغيب ؟

ما الذي يشغل فتيانها وشبابها على كرّ الليالي وتعاقب الأيّام ؟

بمَ يفكر رجال يثرب وشيوخها آناءَ الليل وأطراف النهار ؟

لا أظنُّ أنّ هناك ما يشغل الأطفال سوى مرحهم ولعبهم ، وجريهم في أزقّة يثرب وبين نخيلها الذي يحيط بيوتها .

أما الفتية الشباب ، فلهم من فتوّتهم وشبابهم ما يدفعهم إلى مغامرات متنوّعة بين أترابهم من الفتيات ، أو في

ساحات الصيد ، أو ميادين التدريب على فنون القتال ، فلم يكن في جزيرة العرب شيء يشغل فتيانهـا غير هذه الأمور ، فهم بين حب وحرب ، أو حبٍّ وصيد !

أما رجال يثرب وشيوخها فإنه يشغلهم شيء آخر ، يشغلهم ، بالإضافة إلى معاشهم وكسبهم ، هذه الحرب التي لا تهدأ إلا لتعود جذعة[1] مرة أخرى ، لقد ابتلاهم الله بمجاورة يهود ، ويهود لا تعيش إلا في أجواء الدّس والوقيعة والغدر والرِّبا ! فأوقعت هؤلاء الإخوة من الأوس والخزرج في ضائقات اقتصادية وشرور حربية ، جعلت حياتهم جحيماً مستمراً ، يلجونه طائعين ، بل فخورين ! حتى إذا طالت عليهم هذه الحال ، وأكلت شبابهم وشيوخهم وأموالهم ، وكادوا أن يتفانوا ، تداعوا إلى الصلح ونبذ الأحقاد ، وطيّ ما مضى من عداء ، وانتهى أمرهم إلى أن قرروا تنصيب واحد منهم ملكاً عليهم ، يصلح مـــن شأنهم ، وينظم لهم أمورهم .

هؤلاء هم الرجال الذين عاش بينهم عبد الله بن أُنَيْس فتىً يافعاً شبَّ عن الطوق ، وأخذ يحضر مجالس الرجال ، يتعرف على ما يهمُّ هذه البلدة التي آوته حليفاً لبني سلمة ، محباً لهم ، متخذاً له من بينهم أصدقاء يحبهم ويحبونـه ،

(١) جذعة : جديدة كما بدأت .

فكان لا يُرى إلا مع صديقيه ، معاذ بن جبل[١] وثعلبة ابن عَنَمة ، يروحون ويغدون بين مجالس الرجال ، وقد تهيأوا ليكونوا أعضاء في مجتمع الرجولة بعد أن تجاوزوا سريعاً مرحلة الصِّبا .

وعلى الرغم من افتخار عبد الله بن أُنيس بقومه من بني وبرة من قضاعة ، فإن إعجابه بشباب ورجال حلفائه من بني سلمة كان شديداً ، مما جعله يؤثرهم ، ويبقى معهم في يثرب ، ويطيل البقاء ، حتى أصبح واحداً من أهلها ، يفرحه ما يفرحهم ، ويسوؤه ما يسوؤهم .



رحلة الحج :

وحل موعد الحج إلى البيت العتيق في مكة قبل أن يفرغ الشقيقان المتخاصمان – الأوس والخزرج – من أمر تسويد عبد الله بن أبي بن سلول على الحيَّين ، ولم يكن عند العرب – وأهل يثرب منهم – ما يمكن أن يشغلهم عن

---

(١) معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي ، شهد العقبة الكبرى مع السبعين من الأنصار ، آخى رسول الله بينه وبين عبدالله بن مسعود، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، استعمله رسول الله قاضياً على اليمن وقال عنه : « اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل » مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وعمره اربعة وثلاثون عاماً .

الحج إلى مكة ، فآثروا أن يؤجلوا اتخاذ القرار النهائي في هذا الأمر الجلل لحين عودتهم من مكة ، وأسرعوا إلى مطيهم يحثونها في الطريق إلى البيت ، وكان من عادتهم أن يخرجوا في جماعتين متباعدتين، فخرجوا هذا العام في جماعة واحدة ، فامتلأ الوادي بهم ، وسال بمطيهم ، وحدا حاديهم فأطربهم ونشّط إبلهم ، فكانوا يشعرون بأن هذه الرحلة إلى البيت المقدس ليست كاللاتي سبقت في السنين الخوالي ، وكانوا يعزون ما ينتابهم من انشراح ونشاط وسرور إلى هذه الألفة الجديدة التي وحّدت جموعهم ، وأزالت ما في صدورهم من غِلٍّ ، وانتزعت ما في نفوسهم من بغضاء .

وكانت المشاعر المقدسة تموج بالقبائل العربية التي أتت اليها من كل فج عميق ، وكانت هذه الجموع تموج بهذا الحديث العجيب عن فتىً من قريش جاء بحدث عظيم ، فكان حديثهم عن هذا الحدث هامساً تارة ، معلناً عن نفسه تارة أخرى . وتناقل الناس حديث هذا الدين الجديد الذي يدعو إليه محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ، كما سمعوا في دهشة واستغراب شديدين ما يقوله القرشيون عن محمد، وما يرمونه به من سحر وكهانة وشعر ، وما يرمون به الدين الجديد ، فيزعمون أنه يفرق بين الأخ وأخيه والابن وأبيه والرجل وزوجه ، مما جعل القبائل تنفر من الدين ، وتتجنب الاجتماع بالرسول الأمين .

وعلى الرغم من كل ما بذلت قريش لتصدّ عن سبيل الله، الا أن نفراً من اليثربيين استمعوا للرسول ، فما كان منهم إلا أن بادروا بالإسلام ، فهم قد سمعوا من يهود عن نبي يرسل بالدين الحنيف ، وكانوا يتوعدونهم به ، فكان من همتهم وفطنتهم ، ومما أكرمهم الله بـه ، أن سبقوا إليه وآمنوا به ، وبايعوا رسول الله ، وواعدوه الموسم من العام المقبل ، يلقونه فيـــه ، وقد دعوا قومهم الى الايمان ، وجاؤوا بغيرهم لمبايعة رسول الاسلام .

★ ★

الدخول في الاسلام :

وعـــاد المؤمنون الى يثرب ، ونشطوا بالدعوة للدين الحنيف ، ولاقوا من أهل يثرب الاستجابة الحسنة ، وبادر الكثير من الشباب الى الايمان بالاسلام ، وكان من بين هؤلاء الشباب عبد الله بن أنيس .

ونما المجتمع الاسلامي في يثرب نمواً سريعاً ، وكان عبد الله بن أنيس واحداً ممن عملوا على نمو الجماعة المسلمة بما بذله من جهد وما أبداه من نشاط في الدعوة الى الله، لقد خالطت بشاشة الاسلام قلبه ، وملكت عليـه لبه ، فلم يعد في حياته غير هذا الدين وحبه ، وغير هذا الرسول وربه ، فمضى بشبابه الوثاب يبني لبنة في صرحه ، ويساهم في إرساء أسسه .

ودار العام ، وتهيأ المسلمون سراً لموسم الحج ، ونظموا من بينهم جماعة لتلقى الرسول وتؤكد البيعة . وكم كانت فرحة ابن أنيس عندما اختاروه من بين أفراد الوفد ، فهو لم يرَ الرسول بعد ، وكم تمنى أن يراه ويسمعه ، بل كم طاف به خياله ، فانتقل به الى مكة وحوم به حول الكعبة يبحث عن الرسول الحبيب ، فكان هذا يزيده شوقاً الى شوق ولهفة الى لهفة !

وفي العقبة من منى اجتمع الوفد برسول الله ، وحاذروا أن يراهم أحد أو يشعر باجتماعهم أهل منى، فأعطوا الرسول العهد والميثاق ، وأدوا البيعة على نصرة الله ورسوله ، وأخذوا لأنفسهم من رسول الله ما يرضاه الله . وكان أهم ما فازوا به رسول الله يهاجر الى مدينتهم ، وينطلق منها بالدين الحق الى الناس أجمعين ، يدعوهم ويبشرهم وينذرهم .

وكم كانت هذه اللحظات عظيمة عند عبد الله بن أنيس، خاصة عندما امتدت يده فالتقت بيد الرسول مصافحة معاهدة مبايعة ، ما كان أروعها من لحظة ، وما كان أسعدها من مناسبة .

وعاد الوفد الى يثرب ، وشمر عبد الله عن ساعد الجد، لقد انطوت صفحة الأمس بما فيها وفتحت صفحة جديدة مشرقة . وأخذ عبد الله يزور أهل يثرب ، من عرف منهم ومن لم يعرف ، يدعوهم ويبصّرهم وينصحهم ، فيسره إيمان

من يؤمن ويحزنه إعراض معرضهم . وكان أكثر ما يغيظه هذه الأصنام التي أقيمت من حجارة وطين ، يسجد لها هذا الانسان الذي كرمه رب العالمين !

وانطلق الى صديقيه معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة[1] وشكى لهما مـــا يضايقه من أمر الأصنام خاصة أصنام بني سلمة ، فإنه يعزُّ عليه أن لا يهتدي مواليه إلى الحق ، فلقي من صاحبيه موافقة وتأييداً ، واتفقوا على أن يقوموا بتكسير هذه الأصنام وتحطيمها ...

وأفاق بنو سلمة على أصنامهم فإذا هي جذاذٌ[2] ، فهالهم الأمر ، وتوقعوا شراً ، وباتوا يحذرون أن يصيبهم بسببها مكروه يعجزون عن دفعه ، ولكن الأيام مرت ، ولم يزدهم كسرها إلا سلامة وسلاماً ، وأَمنة وأَمْنـــا ، فرجعوا إلى أنفسهم ، وراجعوا موقفهم ، فأدخل الله على قلوبهم كراهية الأصنام وحبَّ الاسلام ... ويالها من سعادة غمرت عبد الله وصحبه ، لقد دخل مواليــه في الاسلام ، ومن بعدهم أقبـــل الأوس والخزرج على الدين زرافات ووحدانا ، وأخذوا يستعدون للقاء الرسول الكريم ، القادم

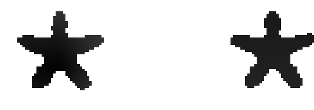
---

(١) ثعلبة بن عنمة الأنصاري الخزرجي ، شهد العقبة الكبرى مع السبعين من الأنصار ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، وقتل في الخندق شهيداً ، قتله هبيرة بن ابي وهب المخزومي.

(٢) جذاذ : مكسرة .

اليهم بالخير العميم ، وبالعزّ المقيم ، وبالشرف الرفيع .

وبات الانصار ينتظرون قدوم رسول الله ، وكان عبد الله من أشدهم شوقاً ومن أكثرهم ترقباً ، وعندما جاءهم البشير باقتراب الرسول ، تدافعوا إلى ثنيّة الوداع يستجلون الطلعة النبوية الشريفة ، وعندما أطل عليهم رسول الله ، هتفوا من أعماقهم مرحبين ، وكان عبد الله بين هذه الجموع يكاد يطير فرحاً وسروراً ، فقد حلّ الرسول بيثرب ، فأحالها إلى أنوار ساطعة ، وقد نالت شرف نزوله بها ، وهو شرف ما بعده شرف ، لقد انتهى عهد كانت تسمى به يثرب ، فهي اليوم كما سماها الرسول « طيبة » وهي كما سماها المسلمون « مدينة الرسول » ، و « المدينة المنوّرة » به ﷺ .



الحرص على الخير :

وبدأ العمل لبناء المجتمع الاسلامي الاول ، وعبد الله ابن أُنيس يساهم في هذا البناء بكل ما أُوتي من جهد وطاقة ، لا يكل ولا يمل ، فهو دائب الحركة ، دائم العمل ولكن بُعدَ منزله من قلب المدينة كان يشقُّ عليه ، خاصة وأنه كان حريصاً على القرب من منبع الهداية والنور والخير ، فقد تابع حضور مجالس الرسول نهاراً ، ولكن

الذي كان يؤوده حضورها ليلاً ، خاصة في رمضان الخير ، وقد أحب أن يكون حاضراً ليلة القدر من كل رمضان ما دام لا يستطيع أن يحضر كل لياليه ، فأتى الرسول وقال له : يا رسول الله ، إني شاسع الدار ، فمرني بليلة أنزل لها .

فقال – عليه السلام – : انزل ليلة ثلاث وعشرين .

فكان عبد الله حريصاً على هذه الليلة ، لا يفوته النزول لها ، ولا يشغله عن ذلك شيء مهما بلغ ، وكان يرى أنها ليلة القدر .



قتل سلام بن أبي الحقيق :

وبدأ الصدام بين الدولة الاسلامية الناشئة وبين من وقفوا في وجهها ، وجاهروها بالعداء ، فكانت الوقائع مع قريش الكفر ، وكانت الصدامات مع يهود ، وكان عبد الله ابن أنيس حاضراً لهذه الاحداث ، لا يغيب عنها ، إلا ما كان من غيابه عن بدر لعذر عند رسول الله مقبول .

وكشّر يهود عن أنيابهم ، وسلوا سيوفهم في وجه الاسلام وأهله ، وبذلوا أموالهم – وهم أضنّ الناس بها – للقضاء على الإسلام في المدينة ، وكان من أشدّ الناس عداوة لله ورسوله والمؤمنين ، ملك يهود في خيبر أبو رافع سلاّم بن أبي الحقيق فهو قد حرّض اخوانه يهود بني النضير على قتل الرسول

غيلة ، وقد استمعوا اليه ، وحاولوا ، ولكن الله منع رسوله ونجّاه ، وكان سلام – على حرصه وشُحه – يبذل ماله للأعراب يحرضهم على غزو المدينة وانتهابها ، وكان على رأس الوفد الذي أتى مكة مخططاً لغزو المدينة ، ثم كان مندوب الأحزاب إلى قبائل غطفان يحرّضهم ويدُعُّهم[1] إلى حرب الإسلام ممنياً إياهم بالنصر والغنم الكبير .

وفي مجلس الرسول الكريم تذاكر المسلمون عداء سلام ابن أبي الحقيق لله ورسوله ، ورأوا أنه لا يكف عن الكيد للإسلام والمسلمين حتى يكف قلبه عن الخفقان ، وأن ما فعله بالمسلمين وما يكنه لهم من حسد وحقد جدير بأن ينفذ المسلمون به حكم الموت .

وكان هذا ما قرره الرسول ﷺ فانتدب من أصحابه لهذه المهمة من يجيدها فاختار عبد الله بن عتيك[2] لرئاسة المجموعة الفدائية وذلك لأنه كان متقناً للغة يهود واختار معه جماعة من أجرأ الرجال من بينهم عبد الله بن أنيس .

اجتمعت هذه الجماعة ورتبت أمورها وأعدت خطتها ثم عرضتها على رسول الله فأقرها وزود الجماعة بتوجيهاته

---

(١) يدعهم : يدفعهم بقوة .

(٢) عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري ، شهد أحداً وما بعدها ، استشهد يوم اليمامة في خلافة ابي بكر سنة ١٢ هـ .

وتوصياته ، وأمرهم بالانطلاق على بركة الله .

وفي ليلة النصف من جمادى الآخرة سنة ست من هجرته ﷺ انطلقت المجموعة الى هدفها ، وكانت حريصة على تنفيذ توصيات الرسول في كتمان أمرهم وتعمية خطتهم عن عدوهم . فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار الى أن وصلوا مشارف خيبر وأطلوا على حصونها المتعددة ، فقصدوا واحداً منها هو بغيتهم ومقصدهم ، حصن سلام ابن أبي الحقيق ، عدو الله وعدو رسوله .

وكمنت الجماعة في مكان قريب من الحصن وقدمت ابن عتيك ليدبر لهم طريقاً إليه ، وانطلق القائد الى هدفه ومكنته إجادته للغة يهود من دخول الحصن وأخذ يتفقده ويتعرف على مداخله ومخارجه ، ثم تلبث حول البوابة الرئيسية يراقب حارسها ، ويعد عليه حركاته وسكناته متصنعاً الانشغال بأمور عديدة وعينه لا تفارق الحارس وبوابته لعله يهتدي لطريقة يفتح بها الباب لأصحابه إذا جنّ عليهم الليل .

وعلا صوت الحارس يستحث المتأخرين للدخول : لقد حان وقت اغلاق الحصن ، سوف لن أفتح لأحد بعد أن أغلقه ، ادخلوا سريعاً وإلا فسوف تنامون في العراء !

وأسرع المتأخرون بالدخول ، وأسرع الحارس فأغلق

الباب . وانزوى عبد الله بن عتيك يراقبه ، ها هو ذا يغلق الباب بالمفتاح الضخم وهـا هو ذا يعلقه في زاوية بجانب الحائط بعيدة عن الانظار.. وها هو ذا ينصرف الى بيته، إنه موعد تناول العشاء ، وسوف يعود بعدهـا إلى مكانه من الباب ...

سارع ابن عتيك الى المفتاح فانتزعه من مكانه ، وبخفة أداره في قفل الباب ، ثم شقه شقاً خفيفاً ، وأرسل إشارته الى صحبه فأسرعوا بالدخول وأسرع هو الى الباب فأغلقه، وأعاد المفتاح الى مكانه !

كانت الاصوات في الحصن تدل على أن أهله لا يزالون أيقاظاً ، فاتخذ الفدائيون الصحابة رُكناً من الحصن يتوارون فيه بانتظار رقدة القوم . ولبثوا في مكمنهم الى منتصف الليل ، ولمـا سكنت الأصوات واطمأنوا الى هجعة القوم قـاموا من مكمنهم وتقدموا الى هدفهم ، أبي رافع سلام ابن أبي الحقيق الذي يرقد في القصر الذي يقابلهم .

كانت غرفته في علية بالقصر، يصعد إليها بدرج متعرج يمر على غرف متعددة . فحرص الفدائيون على أن لا يحدثوا نأمة [1] ، فتتابعوا يصعدون الدرج بخفة وسرعة ، وعندما وصلوا غرفة الطاغية تنبهت امرأته فتقدم منها واحد من

---

(١) النأمة : الصوت الضعيف الخفي .

المجموعة ورفع عليها السيف ، مهدداً متوعداً ، ذاكراً وصية رسول الله أن لا يقتلوا سوى أبي رافع إن استطاعوا ، فلاذت بالصمت وانكمشت في مكانهـا وهي ترتعد من الخوف ، وتقدم الآخرون من فراش أبي رافع والظلمة الحالكة تلف المكان ، فلا يكادون يتبينون موضعه ، ولكنهم تناوشوا جسده بالسيوف ، فكانت ضرباتهم بين ضربة طائشة وأخرى غير قـاتلة . وتقدم عبد الله بن أنيس بثبات الى الجسد المسجى أمامه وقـد سالت دماؤه وارتفع صوته بالنجدة والغوث ، فغرس فيه سيفه حتى أنفذه .

ولم تتحمل امرأته ما رأت ، فصرخت بأعلى صوتها ، فنبهت من بالحصن فهرعوا الى الصوت ، وهرع الفدائيون الى الدرج ينزلونه بسرعة وخفة فانزلق ابن عتيك فكسرت رجله ، وصرخ بأصحابه مستنجداً : وارجلاه ، وارجلاه . فعاد إليه عبد الله بن أنيس فحمله على كتفه حتى خرج به من الحصن .

وافتقد عبد الله بن أنيس قوسه .. لقد سقطت منه داخل الحصن عندما احتمل ابن عتيك ، فأصر على استعادتها رغم مـا سمعه في الحصن من هرج واختلاط ، فقد كان حديد القلب ، شجاعاً لا يهاب الرجال . فعاد والحصن يموج بالرجال لا يدرون ما يفعلون وليس لهم إلا سؤال واحد : من قتل

ابن أبي الحقيق ؟! يسأل الرجل كل من يلقاه ، عرفه أم لم يعرفه !.

ودخل ابن أنيس بين القوم واختلط بهم وسأل سؤالهم، الى أن وصل الى قوسه فأخذها وانسل عائداً الى صحبه.

وانتظرت المجموعة في مكمنها تراقب الحصن لتتأكد من موت عدو الله ، فلم تمر ساعة حتى نادى منادٍ : « لقد هلك سيد خيبر ، لقد مات ملك يهود ، أبو رافع سلام ابن أبي الحقيق ».

لقد نزلت هذه الكلمات على صدورهم نزول الماء على الأرض العطشى ، فانطلقوا والفرحة تغمرهم عائدين إلى مدينة الرسول ، يستحثون ركابهم وهم في شوق غامر لمقابلة الرسول لينهوا اليه النبأ ويزفوا البشرى ، لقد انتهى عدو الله ، سلام بن أبي الحقيق.

واقترب الركب من مسجد الرسول ﷺ وسمعوا صوته يحدث الناس ، فأسرعوا اليه فنظر اليهم وهم يقبلون اليه بوجوه تنطق بالسرور ، فقال لهم مبتسماً : أفلحت الوجوه! فما أعظمها من كلمة تخرج من فم الرسول الذي لا ينطق عن الهوى : أفلحت الوجوه!

وتسارع الجماعة فترد عليه بصوت واحد : أفلح وجهك يا رسول الله.

نعم ، أفلح وجهك يا رسول الله ، فما كانت هـذه الوجوه لتفلح لولا هديك وإرشادك .

وتحلّق الناس حول العائدين بالفلاح يستمعون إلى حديث مصرع سلام بن أبي الحقيق ، وإنه لحديث !

وتنازع الفدائيون عند رسول الله فيمن قتل أبا رافع ، وكل واحد يقول : لسيفي هو الذي قتله ، وابتسم الرسول لأولئك الذين يتنازعون الشرف العظيم ، وإنه لشرف يُتنازع عليه ! وأشار الرسول بيده أن اسكتوا ، ثم طلب من كل واحد منهم أن يعرض عليه سيفه ، فاستعرضها ، ثم التفت اليهم وقال : لسيف عبد الله بن أنيس هو الذي قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

لقد ذهب عبد الله بن أنيس بهذا الشرف الكبير ، وإن كان لا يغمط أصحابه ما ساهموا به في هـذا العمل الجليل .

* *

اختيار زعيم جديد لليهود :

لقد كان قتل سلام بن أبي الحقيق ملك يهود حدثاً عظيماً هزّ خيبر ويهود هزاً عنيفاً ، فلم يعودوا آمنين في حصونهم وبين أهلهم ، لقد أخذ المسلمون عليهم البلاد ،

وأحاطوهم بجدار من الرعب ، فلم يعـد أحدهم يأمن على نفسه في سربه وبين ذويه .

وتنادت يهود لبحث ما جد من أمورها ، فاجتمع القوم يبحثون في علاقاتهم مع المسلمين ، هل تستمر على ما هي عليه من خصام وعداء ، أم يجنحون إلى السلام ويفيئون إلى الوئام ؟!

قال قائلهم : يا معشر يهود ، إن لنا عند محمد ثارات يجب أن لا نتهاون فيهـا ، إنها ثارات قريظة والنضير ، وكعب وسلام ، كيف نسالم من سلبنا عزّنا وشرفنـــا ؟ كيف نهادن من استولى على أرضنا وأخرجنا من ديارنا ؟ كيف نصافي من قتل أشرافنا وساداتنا ؟ كيف نركن إلى السلام ونحن ذوو ألسنة لداد وقلوب شداد وسيوف حداد ؟ أنختار السلام ولنا من أموالنا مـــا يكفي لشراء السلاح وإغراء الأعراب ؟ فلنبذل أموالنا رخيصة ولا نمد أيدينا لمحمد بسلام !

وأثارت هذه الكلمات جمهور الحاضرين ، وعلت صيحاتهم بالانتقام ، وتنادوا إلى امتشاق السلاح واعلان الحرب العوان .

ووقف اليُسير بن رزام ، وهو سيد من ساداتهم يحظى عندهم بالإجلال والاحترام ، فأشار اليهم بالاستماع ، ثم قال:

يا معشر يهود ، يا حملة التوراة المقدسة ، يا من فضلكم الله على العالمين ، لقد وتركم محمد ما في ذلك شك ولا ريب ، لقد سلبكم أرضكم ، وطأطأ من شرفكم ، وضيّق عليكم في رزقكم ، فلا نشكُّ أنه العدو ، وأن بغضه واجب علينا وفرض في ديننا ! ولكن ألا ترون أن أمر محمد قد علا ، وان قوته في ازدياد ، وأن المواجهة العسكرية معه لا تجدي لأنه المنتصر لا محالة ؟ فلنعالج الأمر بالحيلة والخديعة والوقيعة ، فإذا كان محمد يستطيع أن يهزمنا بالسلاح ، فأنى له أن يجارينا بالوقيعة والخداع ، ونحن أهلها منذ كنا؟! فلنؤلب عليه الأعراب ، ولنبذل في سبيل ذلك المال والسلاح ، ولنُبقِ كل ذلك سراً ، فنأمن انتقامه ، ونصطنع معه الموادعة والملاينة ، وننتظر ما يحل به على أيدي الأعراب وأهل مكة !

هذا هو الحزْم عندي ، وهذا هو الرأي الذي أرتضيه لكم ، ولكن قبل أن تحزموا أمركم على شيء من هذا ، لا بد لكم من ملك تملكونه أمركم ، أو زعيم تسلمون اليه قيادكم ، فالأمور لا تصلحها الفوضى ، بل لا بد لها من قيادة حازمة واعية !

وتعالت أصوات الحاضرين : لقد أشرت بالرأي ، فلنختر لأنفسنا ملكاً .

وتنادت أصوات : ليس لها غيرك يا بن رزام ، إننا

ارتضيناك لنا منذ اليوم ملكاً وسيداً .

ووافق الجميع ، وتم الأمر ، وأصبح اليسير خليفة سلام المصروع ، وتسلم زعامة خيبر !

وكان أول عمل بدأ به اليسير أن شد رحاله وتوجه الى قبائل غطفان ، وأخذ يؤلبها على محمد ويذكرها بيوم الأحزاب ، وأنهم كانوا قاب قوسين من النصر لو لا عارض الريح الذي جعلهم ينكصون عن القتال ، وأخـــذ يحثهم ويجزل لهم العطاء ، ويكثر فيهم البذل ، ويمنيهم بالوعود ليكونوا معه إلباً على محمد وعلى المسلمين .

نهاية اليُسير :

وترامت أخباره إلى المدينة ، وعلم الرسول بمـا يدبره اليسير مع غطفان ، وتذكر يوم الأحزاب وما لقيه المسلمون من يهود وكيدها وغطفان وعدوانها ، فأراد أن يحسم الأمر ويقطع دابر المؤامرة ، فاجتمع بنفر من الصحابة ، وتدارسوا الأنباء ، وعرفوا أن اليسير هو الذي يتولى كبر المؤامرة ، وينفخ في نار الفتنة ، فقرروا أن يعالجوا أمره بالسياسة والإقناع لعله يرعوي عن غيّه ويكف من شرّه ، فيجنب قومه الحرب وبلده الخراب !

وفي محاولة لتلافي أخطار الحرب أرسل الرسول عليـه السلام جماعة من الصحابة برئاسة عبد الله بن رواحة – رضي

الله عنه – ومن بينهم عبد الله بن أنيس، مهمتهم الأولى إقناع اليسير بالسلام ، وأن يكف عن الغدر والخداع .

وانطلق الركب الى خيبر يحدوهم أمل بإقناع سيد يهود بما يحملونه له ولقومه من سلام وأمان ، وفي الوقت نفسه يستعدون لما يتوقعونه من عناد يهود وإصرارهم على العداوة والبغضاء ، غير غافلين عما يمكن أن يلاقوه منهم من غدر عرفوا به ، فأصبح لهم سمة لا تريم عنهم ولا تزول !

ووصلوا خيبر هذه المرة معلنين ، وطلبوا مقابلة اليسير فاستقبلهم في مجلسه متجهم الوجه عابسه ، يريهم من نفسه قوة وصلابة وجلداً ، فجلسوا إليه وكلموه فيما جاءوا من أجله وذكروه نتائج الغدر وما جره على يهود من ذل وقتل وسباء ، والرجل مطرق يستمع . وبعد أن انتهوا رفع رأسه وقال : ماذا تريدون مني ؟ لقد قتلتم قومي ، وشردتم أبناء ديني ، واستوليتم على أموالنا وأرضنا ومتاعنا ، وقد ندبني قومي للانتقام لما أصابهم ، والانتصاف منكم !

فقالوا له : لقد أصابكم ما أصابكم جزاء ما اقترفت أيديكم ، فأنتم الذين غدرتم فعاد غدركم عليكم ، وأنتم الذين نكثتم العهود والعقود ، فكان ذلك وبالاً عليكم ودماراً ، فهل تنوون أن تستمروا على ما أنتم عليه ؟ فوالله إنها

للحالقة[1] هـذه المرة ، وقد أنذرناكم ، وما نرى لك يا بن رزام إلا أن تأتي رسول الله وتأخذ منه لنفسك وقومك مـا يجنبكم الفناء ، وقد نصحنا لكم ، فأنتم وما ترون .

فقال اليسير: وما لي عند محمد إن أنا سالمت وهادنت؟

قالوا : إنك إن قدمت عـلى رسول الله استعملك وأكرمك .

قال : أمهلوني إلى غدٍ لأرى رأيي وأستشير قومي ..

واختار اليسير مجموعة من شباب يهود ليرافقوه في رحلته إلى المدينة ، وعلى الرغم من تردده في الذهاب إلا أن أهل خيبر آثروا أن يذهب ليرى مـا عند محمد ، وبعد ذلك يقررون ماذا سيكون من أمرهم معه .

وحرص المسلمون في عودتهم أن يأخذوا حذرهم ، فيهود لا تكف عن الغدر ، فهو يجري منها مجرى الدم ، فوزعوا أنفسهم بين يهود حتى يكونوا مستعدين لكل طارىء، أما اليسير فقد أردفه عبد الله بن أنيس على بعيره ، وكان عبـد الله حذراً أشد ما يكون الحذر ، متنبهاً أشد ما يكون التنبه

---

(١) الحالقة : المنية، والحالقة التي من شأنها ان تحلق اي تهلك وتستأصل (الدين) كما تستأصل الموسى الشعر .

يراقب اليسير ويعدّ عليه حركاته وسكناته ويحصي عليه أنفاسه ، لا يدع شيئاً من أمره يغيب عنه ، وعبد الله رجل شديد العارضة ذكي الفؤاد ، سريع البديهة لا يهاب الرجال .

أما اليسير فقد كانت الافكار تتقاذفه ، فهو طوراً يؤمل نفسه بملك مستقر وحياة مطمئنة بعد أن يصالح المسلمين وهو طوراً يعاتب نفسه ويلومها على ما هي مقدمة عليه من مفاوضة محمد عدوّ يهود الذي شتت شملهم وفرّق جمعهم ويتّم أطفالهم وأفنى شبابهم وأذل كبرياءهم ، تقول له نفسه : كيف أفعل ما أفعل ؟ وحقّ التوراة ما أنا من يهود إن تمّ ما سوّلت به نفسي من مهادنة محمد ! وحق يهود إني لست لموسى بن عمران إن لم أفن العمر في قتال محمد ومن آمن بمحمد ! بئست حياة يهود إن خضعوا لدين محمد ! كيف أرضى أن يمتد بي العمر حتى أرى للإسلام دولة ولجنوده صولة ؟ كيف أسمح لدين غير دين يهود أن يعلو ويسود ؟ أهذا ما أوصت به الأحبار وأوصى به الآباء الأبناء ؟ كلا ، كلا يجب أن لا تمضي لما أنت فيه يا بن رزام وإلا فلست من يهود ، ولا تصلح أن تكون لهم سيداً وعليهم ملكاً !

وألحت هذه الافكار على نفسه ، فلم يعد يرى أمامه إلا عدواً يجب القضاء عليه ، ولم يعد يشغل باله إلا التخلص

ممن معه من المسلمين ، وسار الركب واليسير يجيل الأمر في نفسه ويدبر للخلاص من هذا المأزق الذي هو فيه قبل أن يبتعدوا عن خيبر ... إنهم الآن على ستة أميال منها في مكان يقال له « القرقرة » واليسير على بعير واحد مع عبد الله بن أنيس .. ويتلفت اليسير إلى عبد الله وعينه تلحظ السيف الذي يتدلى إلى جنبه ، وقرر أن يستل هذا السيف ويفتك بصاحبه ثم يولي على بعيره عائداً إلى خيبر.. أما أصحابه فليفعلوا فعله وهم لا شك فاعلون إن رأوه ابتدأهم بذلك ..

أما عبد الله بن أنيس فإن عينه لم تغفل وقلبه لم ينم منذ فصلوا عن خيبر ، فهو متيقظ أبداً لصاحبه ، واليسير قد قرر ، والركب يسير جاداً إلى هدفه يخيم على رجاله الصمت والحذر ، وفجأة علا صوت اليسير : يا لثارات يهود وانقض على سيف عبد الله بن أنيس يريد أن يستله ، وتدرك البديهة عبدالله فيقتحم بالجمل فلا يمكّن اليسير من السيف ، بل يسلّه ويضرب به رجل عدو الله ، فيسرع هذا إلى عمود من خشب كان معه فيضرب به رأس عبد الله فيشدخه ، ولكن عبد الله يتمالك نفسه ، ويكرُّ على عدوه الغادر فيجز رأسه ، فيقع مضرجاً بدم العار والخيانة .

أما بقية يهود ، فما إن سمعوا نداء سيدهم حتى بادر

كل منهم صاحبه من المسلمين يريد أن يفتك به ، ولكن المسلمين كانوا على حـذر ، فأجهز كل منهم على عدوه ، إلا ما كان من رجل منهم فر عائداً الى خيبر يحمل لقومه خبر أصحابهم ونتائج غدرهم .

وأما الركب المسلم فقد أفاق من مفاجأة الحادث الذي تتابعت فصوله بسرعة عجيبة ، وانتهت أحداثـه بسرعة أعجب ، فتفقدوا أنفسهم وحمدوا ربهم على نجاتهم وتعجبوا من أولئك الذين لا يقرون بوعد ولا يفون بعهد ، إنـه الحقد الذي امتلأت بـه قلوبهم فلم يعد فيها متسع لشيء سواه !

قال واحد من الركب المسلم : لقد أصبح حقد اليهود على الاسلام وأهله جبلة لهم لا تفارقهم أبد الدهر ، فهم العدو لهذا الدين ما تعاقب الليل والنهار .

قال آخر : بل إن صفة الغدر تأبى أن تغادر يهود ، وإلا فما الذي دفع هؤلاء الى ما فعلوا ، وهم ذاهبون الى رسول الله بالأمان الذي أعطينا ؟!

قال ثالث : الحمد لله إذ لم يصب أحد منا ، وقد قضينا على رأس من رؤوسهم ، ولا أظنهم الآن إلا والخوف يملأ قلوبهم ، وإني لأتخيلهم وقد أغلقوا على أنفسهم حصونهم ، والرعب يخيل اليهم أنهم في العراء ، لا يقيهم حصن ولا

ينفعهم سلاح .. دعونا نواصل سيرنا حتى نأتي رسول الله بالخبر .



الخطر الجديد :

لم تكن الأحداث لتدع المسلمين يركنون إلى الراحة يوماً، فما إن ينتهوا من القضاء على خطر أو عدو حتى يواجههم خطر آخر ويبرز لهم عدو جديد . فقد وصلت أخبار الى المدينة بأن واحداً من زعماء هذيل يدعى خالد بن سفيان الهذلي .. يجمع الجموع ويعد العدة لغزو المدينة، وأنه جعل من « نخلة » القريبة من المدينة مكاناً يجتمع فيه رجاله .

وهذيل قبيلة كبيرة العدد ، متعددة الأفخاذ والبطون، تسكن المنطقة الممتدة بين مكة والمدينة ، وهي تعيش حياة الغزو والصعلكة . ويكثر فيها الرجال الذؤبان الذين يعتمدون في معاشهم على السلب والنهب . وكثيراً ما ألجأها شظف العيش وقسوة الحياة لأن يقاتل بعضها بعضاً، وهم بسبب من هذه الحياة يعيشون حياة اجتماعية فاسدة ، وتنتشر بينهم العادات الرذيلة ، وهم قد ألفوا هذه العادات حتى لم تعد تلاقي لدى أي منهم اعتراضاً أو استنكاراً أو استهجاناً ، وقد بلغت بهم هذه العادات حداً من الالفة

جعلتهم يشترطون على رسول الله عندمـا أتوه مسلمين أن يحل لهم الفاحشة !

وقد قذفهم حسان – رضي الله عنه – بنيران شعره عندما سمعهم يطلبون هذا المطلب الدنيء ووسمهم بميسم العار الذي تندى له الجباه ، فقال فيهم :

سالت هذيلٌ رسول الله فاحشةً
ضلت هذيلٌ بما سالت ولم تُصب

سالوا رسولهمُ مـا ليس معطيهم
حتى الممات ، وكانوا سُبّة العرب

هذه هي قبائل هذيل التي أخذت تتجمع تحت قيادة خالد بن سفيان لغزو المدينة ونهبها ، وقد انضم إليهم حثالة القبائل وأوباشها ، وأغلب الظن أن هذيلا ومن انضم اليها لم يكن يهمهم أن يقضوا على الاسلام ودعوة التوحيد ، ولم يكن يزعجهم أن تزول الأصنام ، كما لم يكن يسعدهم أن تبقى ، إنما جمعهم الرغبة في السلب والنهب ، وقـد رأوا المسلمين يخوضون المعارك تلو المعارك ، فظنوا أن الحرب قد أنهكتهم وأنهم أصبحوا لقمة سائغة يستطيعون التهامها متى شاؤوا ، فتنادوا للغزو ونزلوا « نخلـــة » استعداداً لليوم الموعود !

المعالجة الحكيمة :

وأهمت هذه الجموع رسول الله ﷺ ورأى أن يحسم أمرها قبل أن يكتمل جمعها وقبل أن تتحرك الى المدينة ، ورأى عليه السلام أن هذه القبائل تتجمع حول خالد بن سفيان ، فإذا قتل خـــالد تفرقت بدداً وانتهى أمرها ، وزال خطرها .

وفكر الرسول ﷺ فيمن ينتدبه لهذه المهمة ، فقتل زعيم كبير وسيد مطاع يتحلق حوله ألوف من أشـــداء الرجال يحتاج إلى رجل حديد القلب ، ثابت الجنان ذي تجربة في مثل هذه الأمور .

ومن غير عبد الله بن أنيس هذه المهمة ؟

واستدعى رسول الله صاحبه عبد الله بن أنيس وأجلسه بجانبه ، وأوجز له المهمة التي ينتدبه لها ، فقال عليه السلام: إنه قد بلغني أن ابن سفيان يجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة فأته فاقتله .

إنها مهمة واضحة محـــددة بقدر ما هي كبيرة وخطيرة ، إن الذي يجمع الناس لقتال الرسول هو ابن سفيان ، ولولاه لما اجتمع الناس ، والمكان الذي ينزله هـــذا العدو هو « نخلة » والمهمة التي أسندت للفدائي الصحابي هي القضاء على رأس الفتنة وموقد نارها : خالد بن سفيان الهذلي .

وعى الجندي أمر القائد ، ولكن المهمة خطيرة فالعدو محاط بآلاف الرجال ولا بد من طريقة للوصول اليـه ، وليس هناك من سبيل غير أن يخدعه ، ولا بد لكي تنجح الخدعة أن يتقوّل له ، والإسلام حرّم ذلك على المؤمنين فلا بد أن يستأذن الرسول بذلك لعله يسمح له به أو يشير بما هو أفضل منه .. فقال عبد الله : يا رسول الله لا بد لي في مهمتي هذه أن أقول ! فأشار عليه الرسول أن يقول ما بدا له فالحرب خدعة .

قتل الزعيم :

وانطلق عبد الله إلى مهمته متوشحاً سيفه ، ووصل « نخلة » عصراً وقـد وجبت الصلاة ، ونظر حوله فرأى جمعاً هائلاً وحركة كبيرة والتفت يبحث عن بغيته فرآه مع مجموعة من نسائه يرتاد لهم موضعاً ينصب فيه أخبيتهم فكانت فرصة قد لا تواتي مرة أخرى ، وأجال عبد الله خطته في ذهنه وخشي أن تفوته الفرصة وخشي على صلاة العصر أن تفوته ، إذ قـد يشتبك مع عدوه في مصاولة ومبارزة ، فصلى إيماءً وهو يمشي نحو عدوه .

وانتهى عبد الله إلى خالد ، فلما رآه خالد قال له : من الرجل ؟

قال عبد الله : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك .

قال خالد : أجل إني لفي ذلك وما أظنه سيثبت لي ومعي هذا الحشد من الرجال ، وإن هي إلا أيام وتكون المدينة وما فيهـــا نهباً لرجالي ، فأهلاً بك معنا يا أخا العرب !

وترك خالد نساءه ومشى يحدث عبد الله بما أجمع عليه وما يأمل الحصول عليه من ثمار المدينة وخيراتها ، وسار ابن أنيس يزين له فعله ويحبب اليه مقصده ، وكان عبد الله حسن الحديث لطيف العبارة ، فأنس به خالد وأمنه على نفسه ، وظل عبد الله يجاذبه الحديث وهو ينتظر فرصته فلما واتته اقتنصها فاستل سيفه وضرب به رأس عدو الله فأطاحـــه ووقع جسده على الأرض فأحدث ضجة نبهت نساءه فالتفتن نحوها فرأين رأس خالد يتدحرج بعيداً عن جسده ، فصرخن صرخة الموت فاندفع عبد الله ينجو بنفسه واندفع نساء خالد ورجاله اليه ، وأخذتهم المفاجأة وشغلهم هولها عن عبد الله وانصرفوا إلى صاحبهم يندبونه وعندما أفاق فريق منهم من هول المفاجأة وفكروا في اللحاق بالقاتل كان هذا قد أعجزهم وفاتهم منه ما يطلبون .

ومـــا إن انتهى القوم من مواراة قتيلهم التراب حتى بدأ جمعهم يتفكك ، وما إن أصبح الصباح حتى كانت نخلة قد لفظتهم فلم يبق منهم أحد ، وكفى الله رسوله والمؤمنين القتال .

أما الفدائي الصحابي عبد الله بن أنيس فقد امتلأ قلبه غبطة وسروراً، لقد أنجز المهمة كما أرادها رسول الله لقد خلّص المسلمين من شر مستطير وخطر عقيم!

افلح الوجه:

وسار عبد الله يقطع الطريق عدواً، يود لو أنها تطوى له، فهو في شوق للقاء رسول الله لينهي إليه خبر الخلاص من عدو الله.

ووصل عبد الله الى مسجد الرسول ودخل وعيناه تبحثان عن الرسول الكريم فوجده بين أصحابه، فلما أحس به ﷺ نظر إليه مبتسماً وبادره بالكلمة الطيبة: أفلح الوجه.

فقال عبد الله: أفلح وجهك يا رسول الله، لقد قتلته.

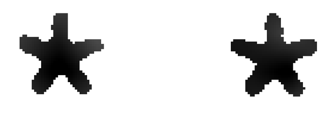
فقال عليه السلام: صدقت.

عندئذ انطلق عبد الله بن أنيس ينشد[1]:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله ... نوائح تفري كل جيب مقدّد
تناولته والظعنُ خلفي وخلفه ... بأبيض من ماء الحديد المهند
أقول له والسيف يعجم رأسه ... أنا ابن أنيس فارساً غير قُعدد

(١) السيرة النبوية لابن هشام الأنصاري الجزء الرابع ص١٩٧ - ١٩٨ نشر دار الجيل - بيروت.

وقلت له خذها بضربة ماجدٍ　حنيفٍ، على دين النبي محمد
وكنت إذا همَّ النبي بكافرٍ　سبقتُ إليــه باللسان وباليد



المكافأة الكبرى :

لقد شكر رسول الله لعبد الله بن أنيس جهاده في سبيل الله ، وبلاءه في الدفاع عن الاسلام ، فقام ممسكاً بيد عبد الله وأدخله بيته وتناول منه عصاً وقدمها إليه وقال له : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس .

وتناولها عبد الله من يد الرسول ، وخرج بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟

فقال : أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها.

قالوا : أولا ترجع إلى رسول الله فتسأله عن ذلك ؟

فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال : لم تعطيني هذه العصا يا رسول الله ؟

قال عليه السلام : آية بيني وبينك يوم القيامة .

يا لها من هدية من يد كريمة ، ويا لها من آية يلقى بها ربه يوم القيامة ، إنها آية جهاده في سبيل الله وإنها آية الرضا من رسول الله ﷺ عن جهاده

ما أسعدك بهذه العصا يا بن أنيس ! وما أعظم حظك عندما تقدمها بين يدي أعمالك يوم الدين ! إنها آية بينة على حبك لله ورسوله وجهادك الميمون في سبيل دينك .

وتناول عبد الله سيفه وقرن به عصا رسول الله ومشى بها سعيداً فخوراً .

★ ★

فراق الحبيب :

ومرض رسول الله فوجفت قلوب المسلمين ، واشتد به الوجع فهرولوا إلى مسجده وبيته يستطلعون الخبر ، وماج المسجد بمن فيه وانتشر خبر وفاته  فكثر اللغط وعلا وسمع عمر وهو يتهدد الناس ويتوعدهم : من قال إن محمداً قد مات ضربت عنقه !

ولم يهدأ القوم حتى سمعوا أبا بكر يتلو عليهم قول ربهم : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين »[1] . وقد استمعوا إليه في ذهول وهو يقول : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت » .

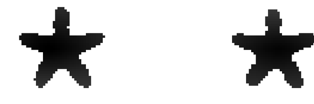
---

(١) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .

ومادت الأرض بعبد الله بن أنيس ، لقد مات رسول الله، لقد أفَلت شمس النبوة ، فماذا يفعل الناس بعد رسول الله؟ وماذا عن الجهاد في سبيل الله ؟ لقد جعل الرسول الجهاد عند عبد الله كالحياة ، يجري حبه في عروقه مجرى الدم .

ودمعت عيناه ، وحزن قلبه لفراق رسول الله ، وعبر لسانه عما يجده لهذا الحادث الجلل :

تطاول ليلي واعترتني القوارع   وخطب جليل للبلية جامع[1]
غداة نعى الناعي إلينا محمداً   وتلك التي تستك منها المسامع
فلو رد ميتاً قتلُ نفسي قتلتها   ولكنه لا يدفع الموت دافع



بعد النبي :

وأهم عبد الله أمر المسلمين ، واشتغل فكره في مصير الاسلام بعد رسول الله ، ولم يذهب عنه همه إلا عندما فاء المسلمون الى أبي بكر الصديق ، فجعلوه إماماً بعد رسول الله ، يخلفه في تدبير أمورهم ، فيصرفها بما عرف عنه من حكمة وإخلاص . وقد اطمأن ابن أنيس لخلافة أبي بكر،

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ، الجزء الثاني القسم الثاني ص٩٠ طبعة ليدن .
والقوارع : مفردها قارعة وهي النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم .
استكت مسامعه : اصابها الصمم فلم تعد تسمع .

فقد كان أبو بكر أقرب أصحاب الرسول من الرسول ، وأولهم إسلاماً ، وثاني اثنين إذ هما في الغار .

وثارت حروب الردة ، فأسرع عبد الله الى حسامه ، وقارع المرتدين حتى عادوا الى رشدهم ، وعادت الجزيرة العربية مسلمة كلها بحمد الله .

وانطلق ابن أنيس مع الجيوش الفاتحة ، فشارك فيها جندياً ينشر الإسلام ويدعو إلى التوحيد ، فشارك في فتوح مصر وإفريقية .

وكانت نفس عبد الله مفعمة بالسرور إذ نصر الله دينه ويسّرَ له من سرعة القبول وسعة الانتشار ما جعل الناس يدخلون فيه أفواجاً أفواجاً .

لقاء الأحبة :

وعاد عبد الله إلى الشام بعد أن أدركته الشيخوخة وجلس إلى أهله وولده وأخذ يقصُّ عليهم فصولاً من حياته وجهاده مع رسول الله ﷺ الى أن قُبض إلى الرفيق الأعلى ومع أبي بكر إلى أن انتهت فتنة المرتدين ، ومع الجيوش الفاتحة إلى أن وصلت شاطىء المحيط ..

ولم يكن عبد الله يمل الحديث عن جهاده ، ولم يكن أولاده ومن حضر مجالسه من المسلمين يملون ذلك ، بل

كانوا يستزيدونه ويطربون لحديثه ، فقد كان – رضي الله عنه – حلو الحديث ، أنيس المجلس ، بليغ العبـــارة ، صادق اللهجة .

وحلّ العام الرابع والخمسون بعد هجرة الرسول وحلت ساعة اللقاء بمحمدٍ وصحبه ، فدعا أهله وولده وأوصاهم فيما أوصاهم به أن يدفنوا معه العصا التي كافأه بها رسول الله لتكون آية ما بينهما يوم القيامة .

وانفضّ الناس عن قبر الصحابي الجليل ، وساروا جماعات جماعات كل جماعة تتحدث عن بطولات هـــذا الصحابي الأنصاري وعن جهاده في سبيل الله .

عَن ضبيعة بن حُصين التغلبي قال : كنا جلوساً مع حُذيفة

فقال : إني لأعلم رجلاً لا تنقصهُ الفتنة شيئاً .

قلنا : من هو ؟

قال : محمد بن مسلمة الأنصاري

" الطبقات الكبرى لابن سعد "

محمد بن مسلمة الأنصاري

نفوس جديدة :

اثنا عشر رجلاً عادوا الى يثرب بعد أن بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى .

عادوا الى يثرب بقلوب غير القلوب التي ذهبوا بها .

عادوا بنفوس جديدة لم يكونوا يحملونها من قبل .

عادوا وقد نفضوا عن ضمائرهم غبار الحقد ورواسب العداوة والبغضاء .

عادوا وقد صمموا أن ينقلوا هذا الفيض النوراني الذي امتلأت به نفوسهم الى إخوانهم الذين يغشيهم الحقد وتنهكهم الحروب .

عـــادوا برؤية جديدة للحياة ، وبنظرة جديدة لمهمة الانسان .

إنهم يودون لو أنهم ملكوا قلوب اليثربيين ، إذن لأسرعوا الى غسلها من أدرانها ليغمروها بالنور الذي عرفوا وبالهداية التي نالوا .

كانت نفوس هذا النفر من المسلمين الأوائل تتحرق شوقاً للعمل في سبيل الله ، وكانت قلوبهم تتوثب حماسـاً لنشر الهداية الإلهية بين الناس جميعاً .



رجل الخير :

بوصول مصعب بن عمير – رضي الله عنه – الى يثرب بدأ العمل وجد الجد ، وشهد منزل سعد بن زرارة أول اجتماع لهذه الزمرة المؤمنة التي بدأت تستعرض شخصيات يثرب لتختار من بينها من تبدأ به فتدعوه للدين الجديد .

قال قائل منهم : ألا تدعون محمـد بن مسلمة ؟ إنه رجل صدق وأمانة ، وهو رجل يضيق بمـا يدور بين الأوس والخزرج من خلاف ، ويكره ما ينشب بينهم من حروب ، ويود لو ساد السلام والوئام بين الحيين .

قال آخر : ولا تنس أن ضيقه بهذا الخلاف راجع أيضاً

الى أن أباه رجل من الأوس وأمه امرأة من الخزرج .

قال مصعب : دلوني على هذا الرجل لأدعوه لدين الحق لعل الله يكرمه فيهديه الى الاسلام .

قال رجل من الحاضرين: لقد مر بنا الرجل قبل قليل وحيانا بابتسامة مشرقة .

قال مصعب : لقد مر بنا رجال كثيرون ، وكلهم كان يحيينا بابتسام ، فإنكم معشر الأوس والخزرج قوم بيض القلوب تكرهون الشر وتميلون الى الخير لولا ما تلقون من كيد يهود ودسائسهم ؛ فأي أولئك الرجال محمد بن مسلمة ؟

قال الرجل : إنه ذلك الرجل الاسود الطويل ، ذو الهامة العظيمة والرأس الاصلع .

قال مصعب : وكم تقدر عمره ؟

قال الرجل : إنه في بداية العقد الرابع .

– وبماذا يكنى ؟

– يكنى بأبي عبد الرحمن . ولكن لماذا كل هذه الأسئلة يا مصعب ؟

– سوف أقابل هذا الرجل لأدعوه لدين الله ، ومما يقرب الرجل من الداعية أن يكون الداعية عارفاً به محيطاً بأوصافه ، يعرف اسمه وكنيته ولقبه حتى يدعوه بها ،

وإن مما يقربك من النجاح في مهمتك أن تدعو الرجل بأحب الأسماء اليه .

ما أعظم هذا القلب الذي يحمله محمد بن مسلمة بين جنبيه فما أن عرض عليه مصعب الإسلام وشرح له مبادئه حتى بادر اليه وشهد شهادة الحق وانضم إلى ركب الدعوة وأعلن نفسه جندياً من جنودها .

صفات الرسول :

وجلس أبو عبد الرحمن يستمع إلى مصعب بن عمير وهو يقرأ القرآن ويشرح الإسلام ، وكان كلما مر ذكر رسول الله ﷺ بدا في عينيه الشوق اليه والتلهف للقائه ، وذات مرة التفت إلى مصعب وقال له : كم أنا مشوق لرؤية رسول الله ﷺ فمتى يدور العام ويأتي موسم الحج ونحظى بلقائه ؟

ابتسم مصعب وقال : تحلَّ بالصبر أبا عبد الرحمن ، فسرعان ما تمر الأيام وينقضي العام .

قال ابن مسلمة : كم أنا متلهف لأن تطوى الأيام .. ثم صمت قليلاً وقال : أخشى أن لا ألقى الرسول لسبب أو لآخر ، ولكن ألا تصفه لنا ؟ فإنك لازمته وسعدت بالتطلع إلى وجهه الكريم .

قال الحاضرون بصوت واحد : تكلمت بما في نفوسنا يا بن مسلمة ، فصف لنا رسول الله يا بن عمير ، اعتدل مصعب في جلسته وأطرق برأسه وأغمض عينيه كأنه يستحضر صورة رسول الله ﷺ في ذهنه ، ثم رفع رأسه وقال : رسول الله ﷺ أبيض اللون مشرب حمرة ، أدعج العينين[1] مقرون الحاجبين ، سبط الشعر[2] ، كثُ اللحية ، بعيد ما بين المنكبين ، كأن عنقه إبريق فضة ، شثن الكف والقدم[3] ، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب وإذا قام كأنما ينقلع من صخر ، إذا التفت التفت جميعاً ، كأن عرقه في وجهه اللؤلؤ ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، بين كتفيه خاتم النبوة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، أجود الناس كفاً وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس بذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ .

كان الصمت مخيماً على هذه الثلة من المؤمنين وهم يستمعون الى هذا الوصف الرائع لرسول الله ، وما إن انتهى مصعب من وصفه حتى هتفوا بصوت واحد: صلى الله عليك وسلم يا رسول الله

---

(١) دعجت العين : اشتد سوادها وبياضها ، واتسعت .

(٢) سبط الشعر : مسترسل الشعر ، ليس بجعد .

(٣) شثن الكف والقدم : غليظ الكف والقدم .

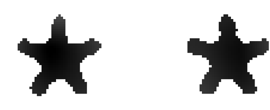
استقبال المهاجر :

ما أطول سويعات الانتظار ، وما أشدها على قلوب المحبين، فكم من مرة وقف فيها محمد بن مسلمة يتطلع نحو الأفق لعله يكون أول من يرى رسول الله قادماً من مكة ، لقد آن أوان العمل والجد من أجل الإسلام ودعوته ، لقد عاهد محمد بن مسلمة نفسه وربه على أن يلازم رسول الله ﷺ في روحاته وغدواته ، فيكفي ما فاته من لقائه يوم العقبة الثانية .

وتطلع ابو عبد الرحمن نحو الأفق ، إنه يرى موكباً، إنه يسمع مصعباً وهو يقول : هذا موكبُ رسول الله سيد ولد آدم وخاتم رسل رب العالمين .

ويتطلع ابو عبد الرحمن إلى الموكب ، ياله من موكب بسيط في مظهره عظيم في جوهره ، موكب من ثلاثة نفر يقترب من ثنيّة الوداع ، لا فلنسمها اليوم ثنيّة الاستقبال ثنيّة الفرح والسرور ، ثنيّة الفجر الجديد الذي أطل على يثرب وأهل يثرب .

وارتفعت أصوات النـاس تسأل : أيهم رسول الله ؟ ويتطلع ابو عبد الرحمن نحو الركب ، ويتذكر صفة رسول الله كما سمعها من مصعب بن عمير فيعرف رسول الله ويقبل عليه في موكب الأنصار ، فما أعظم لحظات اللقاء .



المؤاخاة :

بدأ رسول الله ﷺ ينظم الدولة الناشئة في المدينة ، فأراد أولاً أن يطمئن على أن المهاجرين يعيشون في استقرار في مهاجرهم في هذه المدينة الطيبة ، فأخذ يؤاخي بين المهاجرين والأنصار وذلك حتى يندمج المهاجرون في مجتمع المدينة فلا يشعروا بالغربة .

وجلس محمد بن مسلمة يتطلع إلى رسول الله وهو يؤاخي بين المهاجرين والأنصار وأخذ يسأل نفسه : من سيكون حظي من هؤلاء المهاجرين البررة ؟ وراح يتطلع إلى وجوه المهاجرين فيرى وجوهاً تشع نوراً وتفيض إيماناً ، فيقول لنفسه : أيما رجل حظيت به من بين هؤلاء فقد حظيت بحظ عظيم .

وبينما كان ابن مسلمة غارقاً في تفكيره إذا برسول الله يعلن مؤاخاته لأبي عبيدة عامر بن الجراح ، فيثب إليه ويأخذه بين ذراعيه ، ثم يمسك بيده وينطلق به إلى بيته .



حراسة المدينة :

كانت المدينة محاطة بالأعداء من كل مكان ، قريش تطارد المسلمين المهاجرين ، ويهود يأكل قلوبهم الحسد وتغلي

صدورهم بالحقد ، فيودون لو استطاعوا أن يقضوا على هذا الدين الجديد ، والأعراب حول المدينة يغريهم بالإغارة للسلب والنهب ما يرون من ضعف المسلمين وجماعة من أهل المدينة لم يرقهم أن تنتزع السيادة من رجالهم فتصبح خالصة لمحمد ، ولم يدركوا معنى النبوة حتى يسلموا بالقيادة لرسول الله ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ويحاولون اغراء قريش ويهود بمحمد وأتباع محمد .

فكان مراد الرسول الأول أن يوفر الأمن للمدينة ، قاعدة الدولة الاسلامية الناشئة ، فعمد الى اختيار جماعة من المسلمين الأشداء وأمرهم أن يتناوبوا حراسة المدينة ، وجعل محمد بن مسلمة قائداً لهذه الجماعة ، ثم أضيفت مهمة أخرى الى هذه الجماعة وهي حراسة الرسول ﷺ ، وذلك قبل أن ينزل قوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » .

وتفانى محمد بن مسلمة في أداء هذه المهام التي أسندت اليه ، فما كان يُرى إلا متفقداً لقواته ، ساهراً معهم ، لا يفتر عن مراقبة رسول الله والمترددين عليه حتى لا يخلص اليه عليه السلام شر من أحد من الناس .

ولاحظ المسلمون هذا التفاني من محمد بن مسلمة فأطلقوا عليه « فارس نبي الله » .

* *

موادعة اليهود :

ثم التفت رسول الله ﷺ الى تنظيم العلاقة بين المسلمين وبين من جاورهم من يهود ، وحضر زعماء يهود الى مجلس رسول الله ، وحادثهم وناقشهم ثم اتفق معهم على حسن الجوار ، وكتب في ذلك وثيقة لهم ، ومما جاء في هذه الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتغ (يُهلك) إلا نفسه وأهل بيته ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده فإن مرده الى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه » .

بهذه الوثيقة أعطى رسول الله يهود المدينة أفضل ما يعطى حليف وجار، وجعل لهم أمان الله ، وعليهم ميثاقه على أن يكونوا يداً واحدة مع المسلمين على كل من أراد شراً بالمدينة وأهلها ، وأن يكونوا هم أنفسهم سلماً للمسلمين لا يغدرون بهم ولا يعينون عليهم أحداً .

لو عقلت يهود لعاشت في ظل المسلمين آمنة مطمئنة لا تخشى شيئاً ، ولكن الحسد نهش قلوبها وأحرق الحقد أكبادها ، فكيف يكون النبي الخاتم من غير بني إسرائيل؟ وكيف يسلمون له القيادة والسيادة ومن قبل كانت لهم على يثرب وأهلها القيادة والسيادة ؟

لقد سيطرت على يهود الكبرياء المضلة ، وأفقدهم توازنهم ما توارثوه عن أجدادهم من حب السيطرة على العالمين ، وأدار عقولهم ما وقر فيها من اعتقاد بأنهم هم السادة وهم القادة وأن غيرهم لهم عبيد ، وطمس على قلوبهم ما جبلوا عليه من احتقار الناس فلم يعودوا يرون الحق حقاً والباطل باطلاً ، ورأوا أن من حقهم نقض العهد وإخلاف المواثيق مع جميع الخلق من غير يهود !

بهذه الأخلاق أرادت يهود أن يتعاملوا مع رسول الله، وبغير هذه الأخلاق جاءت رسالة الإسلام ، فكان الصدام بين المسلمين ويهود أمراً محتوماً وشيئاً لا مفر منه

★ ★

محاولة اليهود اغتيال الرسول:

قتل صحابي رجلين من بني عامر خطأ، فجاء ذووهما إلى رسول الله يطالبون بحقهم، فوعدهم بالدية، وكان المسلمون في ضيق وشدة، فقرر الرسول أن يستعين بيهود تنفيذاً لبنود العهد الذي كتبه معهم، فذهب إلى بني النضير في جماعة من الصحابة وطلب منهم أن يعينوه في دية هذين الرجلين، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت.

ذهبت يهود إلى بيت لهم يتناجون، وجلس الرسول ﷺ إلى جانب بيت ينتظرهم، فقال بعضهم لبعض: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن! فمن رجل يظهر على البيت الذي يجلس إلى حائطه فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟

قال عمرو بن جحاش النضري: أنا أفعل ذلك!

قال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وإني أخشى أن تكون يا عمرو بن جحاش أشقاها، فتجني على نفسك وقومك.

قال عمرو: ومن أين له أن يعلم؟

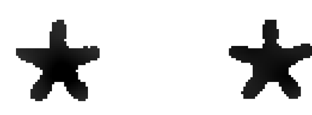
قال سلام: والله إنكم لتعلمون أنه النبي الذي بشرت به التوراة، وأن الناموس الذي كان يأتي موسى يأتيه، فإياكم والغدر، فقد حذرتكم وأعذرت!

وتهامس القوم ، وكثر اللغط بينهم ، وارتفعت أصوات تسفه رأي سلام بن مشكم وتنعته بالجبن والخور ، بل سمع من يقول : أخشى أن يكون سلام قد فارق دين موسى واتبع محمداً ، فهو يدافع عنه ويصدكم عن الفتك به ، يا أصحاب التوراة دونكم فرصتكم ، وياعمرو بن جحاش نفذ ما عزمت عليه !

وجاء الوحي الى رسول الله ، وأعلمه بما عزمت عليه يهود ، فنهض من مكانه مسرعاً واتخذ طريقه الى المدينة ، ولما رأى اصحابه ذلك اسرعوا خلفه واشتدوا يريدون اللحاق به فلم يدركوه إلا بالمدينة .

قالوا : يا رسول الله ، قمت ولم نشعر .

قال : همت يهود بالغدر ، فأخبرني الله بذلك فقمت .



إجلاء بني النضير :

ثم دعا رسول الله محمد بن مسلمة وأرسله اليهم وأمره أن يبلغهم هذه الرسالة : يا بني النضير « اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً ، فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه » .

قرار حاسم من رسول الله ، فما دامت يهود لم تلتزم بما

عاهدت عليه وهمت بالغدر ، وهو أبشع ما يتصف به قوم، فأقل جزاء لهم الجلاء .

وانطلق محمد بن مسلمة بالرسالة الى منازل بني النضير ، فوجد قوماً انخلعت قلوبهم رعباً ، لا يدرون ما الله صانع بهم ، وكانوا يخشون أن يبيد الرسول خضراءهم جزاء غدرهم، فلما رأوا محمد بن مسلمة هرعوا اليه وتعلقوا بـه ، وهتفوا بصوت واحد : ما وراءك يا بن مسلمة ؟ مـا الذي أغضب أبا القاسم فغادر ديارنا دون أن يكلمنا ؟ نحن على استعداد لأن ندفع ديـة الرجلين العامريين وحدنا . ألا يرضيك يا أبا عبد الرحمن هذا ؟

وهز محمد بن مسلمة رأسه وقال : مـا كان أغناكم عما أنتم فيه لو لم تكونوا قوماً ُغدراً . إن رسول الله يأمركم بالجلاء عن المدينة ، ومن ُوجد منكم بعد عشرة أيـام ضربت عنقه .

ولوى ابن مسلمة عنان فرسه وانطلق عائداً وانصرفت يهود تجهز نفسها للخروج ، وما ظنوا أنهم قـد نجوا من شر فعلتهم التي هموا بها .

وبينا هم في غمرة استعداداتهم للخروج أتاهم رسول من رأس النفاق يقول لهم : يقول لكم عبد الله بن أُبي: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم ، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم وتمدكم قريظة

وحلفاؤكم من غطفان .

وفي كل مرة يثبت اليهود أنهم قوم لا يعقلون !

لقد غرهم عرض رأس النفاق وحسبوا أنه سيبرّ بوعده ويدخل معهم حصنهم ويقاتل المسلمين ، وما أدركوا أنه لو كان صادقاً لواجه النبي وهو بين قومه وفي مدينته ، وما دروا أن الذي يظهر الإسلام خوفاً من محمد لا يمكن أن ينحاز اليهم فيحاربه معهم . إن قلب ابن أبي قد انهزم سلفاً أمام الرسول فنافق ، فلا يمكن أن يقاتل بعد ذلك مع أحد أبداً .

ووقع اليهود في شر أعمالهم ، وراحوا ضحية غرورهم وتفاهة تفكيرهم ، فأرسلوا الى رسول الله ﷺ يقولون : « إنا لا نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك » !

فلما بلغت هذه الرسالة رسول الله ، كبّر وقال : حاربت يهود ، فكبر المسلمون لتكبير رسول الله ، فارتجت جنبات المدينة بالهتاف الخالد : « الله أكبر ، الله أكبر » . ووصلت أصوات التكبير إلى أسماع المنافقين ، فارتعدت فرائصهم وخارت عزائمهم ، ونكصوا عن نصرة بني النضير . أما بنو قريظة ، فما إن سمعوا دوي التكبير حتى أغلقوا على انفسهم حصونهم ، وقالوا : بل نفي للعهد الذي بيننا وبين محمد ، فما لنا ولقوم جنوا على أنفسهم ، ونكثوا عهودهم !

وانتظر بنو النضير أن يأتيهم ما وُعدوا به من مدد، وطال بهم الانتظار، فعلموا أن ما أملوه خيال وأن الذي وُعدوه سراب، ولم يجدوا من بين ما قيل لهم حقاً سوى جيش رسول الله يحيط بحصنهم ويضيق الخناق عليهم، ثم يأمر بنخلهم أن يحرق، فلم يعد لهم أمل في البقاء فأرسلوا إلى رسول الله : نحن نخرج عن بلادك .

فقال لهم رسول الله : « لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة » .

لقد كانوا بنجوة من هذا العقاب لو أنهم لم يغدروا، وقد كان بإمكانهم أن يخرجوا بأموالهم جميعها لو أنهم لم يستمعوا لتحريض المنافقين .

ونادى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة، فأمره أن يتولى إخراجهم، فقام — رضي الله عنه — بهذه المهمة خير قيام .

★ ★

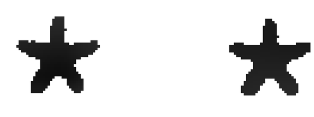
يهود تنقض العهد :

من صفات يهود أنهم قوم لا يتعلمون ولا يتعظون، تعميهم العداوة ويضلهم الحقد، ولو لم يكونوا كذلك لأخذ بنو قريظة درساً من مصير بني النضير .

إلا أن بني قريظة عندما رأوا قوة الأحزاب وضخامة

حشدهم يوم الخندق ، ظنوا أن لا قبل للمسلمين بهم ، وأن دولة الإسلام قد دالت ، وان أمر المسلمين قد انتهى .

ولأن اليهود فقدوا ثقتهم بالله سبحانه ، ومـــا عادوا يؤمنون بقدرته على نصر القلة المؤمنة على الكثرة الباغية ، رضوا أن ينضموا لمعسكر الأحزاب ، وأعلنوا نقضهم للعهد الذي بينهم وبين محمد ﷺ ، ووصلت بهم الصفاقة إلى أن يقولوا لسعد بن معاذ عندما ناشدهم العهد الذي بينهم وبين رسول الله : ومن رسول الله ؟ لا عهد بيننـا وبين محمد ولا عقد !



الجزاء العادل :

وما إن انتهت غزوة الأحزاب حتى بادر المسلمون بالزحف على بني قريظة وحاصروهم ، وكان محمد بن مسلمة – رضي الله عنه – على حرس رسول الله ﷺ ، وكان الحصار محكماً لا يستطيع أحد الافلات منه ، وعندما حاول عمرو بن سعدى القرظي أن يفلت من الحصار وقع في أسر الحرس النبوي ، فجيء به إلى محمد بن مسلمة ، وعندما عرفه قال : أعمرو بن سعدى ؟ ثم نظر إلى أصحابه وقال : هذا رجل لم يوافق قومه على الغدر بنـــا ، اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ، اطلقوا الرجل ودعوه ينجو بنفسه .

هكذا علّم الاسلام محمد بن مسلمة أن يعامل الناس وفاء بوفاء ، وأن يقيل عثرات الكرام ، فما أعظم مـا يجنيه الناس من هذا الدين العظيم .

واستسلمت قريظة ، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فتذكر سعد غدرهم وخستهم واستحضر وقاحتهم حين قالوا له : ومن رسول الله ، لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد .. وتذكر ما كادوا ينزلونه بالمسلمين من إبادة لولا أن تداركهم الله برحمته ، فحكم عليهم بالموت ، وأقر الرسول هـذا الحكم لأنه حكم العدالة الإلهية ، فأمر عليه السلام أن يجمع رجالهم في ناحية ، وأوكل أمر حراستهم إلى محمد بن مسلمة إلى أن نفذ فيهم حكم الله العادل .



العدو الالدّ :

جن جنون يهود ، فلم يبق في عقولهم متسع للتفكير المتزن ، ولم يبق في قلوبهم مجال لغير الحقد والحسد فراحوا يعملون بكل ما لديهم لحرب الله ورسوله ، وقام زعماؤهم وأحبارهم بحملة شرسة ضد الاسلام وأهله ، فهم لم يكتفوا بأن يقفوا دون إيمان عامة يهود بالدين الحق ، بل أوغروا قلوبهم عليه وجندوهم لحربه ، ثم راحوا يستمدون قريشاً وعامة القبـائل لحرب المسلمين ، وأخذ شعراؤهم في هجاء المسلمين والتشبيب بنسائهم ..

وكان رأس كل هؤلاء كعب بن الأشرف ، وهو رجل طويل جسيم جميل وشاعر مُجيد ، ذو مال وفير جعله يسود يهود الحجاز ويكون فيهم مطاعاً .

وأظهر كعب عداءه للاسلام من أول يوم حل فيه الرسول ﷺ في المدينة المنورة ، حسداً من عند نفسه ، وانسجاماً مع جبلة يهود التي تأبى أن ترى السيادة مع غيرها.

وبدأت حملة العداء التي تولى كبرها كعب عندما جاءه أحبار بني قينقاع وبني قريظة ، كما هي عادتهم كل عام ، ليأخذوا صلته !

قال لهم كعب : أسمعتم بهذا الرجل القرشيّ الذي جاء يثرب يدعو إلى الدين الجديد ؟

قالوا : نعم .

قال : فما عندكم من أمره ؟

قالوا : هو الذي كنا ننتظر ، ما أنكرنا من نعوته شيئاً !

قال كعب : حرمتم كثيراً من الخير ! فارجعوا إلى أهلكم فإن الحقوق في مالي كثير !

لم يكن أحبار يهود يتوقعون هذه الاجابة من كعب ، ولو كانوا يعلمون بما يكنه من عداء للنبي ﷺ لما اجابوه بكلمة الحق ، فالمال عندهم مقدم على كل حق فكيف يرتقون ما فتقوا ويصلحون ما افسدوا ، فإن الفساد كل الفساد في

شرعهم أن يحرموا المال ويذموه ! فراجعوا أنفسهم وقارنوا بين المال والصدق وبين الدنيا والآخرة ، وغلبت عليهم أخلاقهم المتأصلة في كيانهم ، فاختاروا المال والدنيا على الصدق والآخرة ، ونكسوا على رؤوسهم وعادوا إلى كعب أذلة خانعين وقالوا له : يا سيد يهود ، إنا أعجلناك فيما خبرناك به ، ولما استثبتنا علمنا أنا غلطنا ، وليس هو المنتظر !

بهذا الموقف المتخاذل من أحبار السوء كسب كعب الجولة في عدائه للإسلام ، فسارع الى هؤلاء النفر من الأحبار فوصلهم وأغدق عليهم ، وأعلن أن لكل من يتابعهم على رأيهم هذا من الأحبار خرجاً من ماله ومنزلة في سلطانه !

وهكذا ضمن كعب يهود الى جانبه ، أما المشركون من قريش، فهم معه على كل حال ، ولكنه أراد أن يصل ما بينه وبينهم وينسق عمله معهم ، فارتحل الى مكة في سبعين راكباً من يهود ، ونزلوا على أبي سفيان بن حرب فرحب بهم وأكرمهم . ورأى بقدمهم فرصة مواتية ليثبت قريشاً على عدائها لمحمد ودين محمد ، فعقد لليهود مجلساً في ملأ من قريش وأحلافهم . وقال لهم والناس تسمع : يا معشر يهود ، إنكم اهل كتاب ، ومحمد صاحب كتاب ، ولا نأمن ان يكون هذا مكراً منكم ، فإن اردتم ان نخالفكم ونقاتل محمداً معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما !

واشرأبّت القلوب ، وأنصتت الآذان ، وأطرقت العيون، فما كان ليهود ان تسجد للأصنام وتؤمن بها وهي التي كانت تدعوهم لعبادة الله ونبذ هـذه الأصنام .. أيمكن ان يحدث هذا ؟

وما راع الناس إلا منظر سبعين يهودياً يعلنون إيمانهم بالأصنام ويسجدون لها !

فعلها ابنـاء القردة وسلالة الخنازير ، ولكنها لم تكن غريبة منهم ولا عجيبة ، فقـــد سجدوا من قبل لعجل السامري ، وإنما هؤلاء الأحفاد من اولئك الأجداد !

وهكذا عقـــد الحلف بين جاهلية الاصنام وجاهلية الاحبار ، ومع انه يبدو للناس بأن هذا الحلف قوي ، إلا انه والله سحاب هريق ماؤه وسراب ليس وراءه إلا الخيبة والضياع !

وقوي ساعد كعب ، او هكذا ظن هو ، فتمادى في عدائه للمسلمين ، وأخذ يحرض عليهم بشعره ، ويهجوهم بـــه ويشنع عليهم . وقد كان للشعر عنـد العرب منزلة وأي منزلة ، فكان اشد ما يؤلمهم بيت من الشعر يهجون بـه ، وكان اشد ما سله عليهم كعب شعره هذا الذي يفتري فيه على الله وعلى رسوله وعلى المسلمين .

وصبر المسلمون على ما اعلنه كعب من عداوتهم ، فهم

الآن في شغل عنه بتنظيم أمور المدينة ، وبمراقبة قريش والأعراب الطامعين بغزو المدينة .

ونشبت المناوشات بـــين قريش والمسلمين ، وأفضت المناوشات إلى الصدام الكبير في بدر ، وفيها أكد المسلمون قوتهم وتحسنت سمعتهم الحربية بـــين الأعراب ، ورسخ مركزهم وثبتت أقدامهم كقوة في الجزيرة يحسب حسابها ويخشى جانبها ، وتخلصوا في بدر من زعمـــاء قريش الذين صرعتهم الأيدي المتوضئة والقلوب المؤمنة .

وأرسل الرسول – عليه السلام – بين يدي عودتـــه منتصراً من بدر بشيرين إلى المدينـــة يزفان أخبار النصر المؤزر في بدر .

واجتمع حولهم سكان المدينـــة مسلمهم وكافرهم وانضم اليهم يهود ، وكلهم يسأل عن أخبار بدر ، فجعل البشيران عبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة يقولان : قُتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام وزمعة بن الأسود وأمية ابن خلف وابو البختري بن هشام ونبيه بن الحجاج ومنبه ابن الحجاج .

وعمت الفرحة قلوب المسلمين ، وساد الوجوم أهـــل الشرك ويهود ، فقـــد عدد البشيران زعماء قريش وسادة العرب وفرسان المعارك .

كان كعب بن الأشرف يقف وسط هذه الجموع وقـــد

تقاذفتها افكار متضاربة ، فهم بين فرح مسرور وحزين مقهور ، ودارت الأرض تحت قدمي كعب وهمس لنفسه : أحق ما يقول هؤلاء ؟ لا ، لا إن هذا أمر أغرب من الخيال ولا بد أنَّ البشيرين يحلمان !

وأفاق كعب من سكرته ، وهب صائحاً بأعلى صوته: أيها الناس ، لا تصدقوا هذين ، فإنهما لا يعلمان ما يقولان فهؤلاء الذين عدوا من بين القتلى هم أشراف العرب وملوك الناس ، ووالله إن كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها !

وانسحب الناس بين مصدق ومكذب ، وانتظر المسلمون عودة رسول الله لتهنئته بالنصر المبين ، فلما عاد - عليه السلام - وتيقن كعب الخبر ، راح يبكي قتلى بدر ويحرض قريشاً بشعره على المسلمين وأخذت الرسل تأتي وتذهب بينه وبين قريش الموتورة ، وكان مما أرسل اليه ابو سفيان بن حرب يسأله : « إنك تقرأ الكتاب ، ونحن أميون فأينا أهدى طريقاً واقرب إلى الحق نحن أم محمد ؟ » ، فقال كعب : أنتم والله اهدى سبيلاً مما هو عليه !!

وتمادى كعب لما رآه من كف المسلمين ايديهم عنه ، ولما يؤمله من قدوم قريش للثأر لقتلى بدر ، وألح في هجاء المسلمين ، وتطاول على رسول الله بلسانه القذر ، وتعرض لنساء المسلمين فشبب بهن وذكرهن بالسوء .

قتل كعب بن الاشرف :

عند ذلك قال الرسول ﷺ في مجلس من اصحابه : « اللهم أكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشرّ وقوله الأشعار » ثم التفت إلى اصحابه وقال : « من لنا بابن الأشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وآذى الله ورسوله وقوّى المشركين علينا » .

فقال محمد بن مسلمة : « أنا لك به يا رسول الله ، أنا اقتله » .

فقال – عليه السلام – : « إفعل إن قدرت على ذلك ».

وكان كعب بن الأشرف عزيزاً في قومه ، ممتنعاً في حصنه ، يحتاج الوصول اليه إلى خطة محكمة وعزم كالجبال .

وأدرك الصحابي الجليل محمد بن مسلمة عظم المهمة وصعوبتها ، فقضى ثلاث ليالٍ لا يأكل ولا يشرب إلا ما يبقي على نفسه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل اليه، فلما حضر قال له : لمَ تركت الطعام والشراب ؟

قال : « يا رسول الله ، قلت قولاً لا ادري أفي به أم لا .

قال رسول الله ﷺ : إنما عليك الجهد .

قال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول ».

قال عليه السلام : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حلٍ من ذلك .

وأعطت هذه الكلمات محمد بن مسلمة روحاً متوثبة ، ونفساً متأهبة ، فذهب من فوره ليختار من يساعده على هذه المهمة . وكان لا بد من التروي في الاختيار ، فالمهمة صعبة ، والرجل ممتنع ، وأمر رسول الله لا بد أن ينفذ .

جلس محمد بن مسلمة يستعرض في ذهنه أصحاب رسول الله ممن يستطيع أن يعتمد عليهم في قتل ابن الأشرف . وبعد طول تفكر استقر رأيه على اربعة نفر : أبو نائلة سلكان بن سلامة وهو أخو كعب بن الأشرف من الرضاع ، وعباد بن بشر ، والحارث بن أوس من بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة .

لقد وفق محمد بن مسلمة في تكوين فرقته الفدائية ، فهو ابن اخت كعب بن الاشرف وأبو نائلة أخو كعب من الرضاع، وهذا يساعد على كسب ثقة كعب، والثلاثة الباقون من اشجع الرجال ومن اشدهم إخلاصاً واندفاعاً لنصرة الاسلام .

اجتمع الفدائيون وتداولوا الأمر وقلبوه على وجوهه ، ثم اتفقوا على خطة أحكموا فصولها ، وابتدأ أبو نائلة في تنفيذ دوره فيها ، فذهب الى كعب بن الاشرف زائراً ، فجلس عنده ساعة وتناشدا الأشعار ، ثم أطرق ابو نائلة إطراقة المهموم ، فقال له كعب : ما لك يا أخي ؟

قال ابو نائلة : ويحك يا بن الاشرف ، اني قد جئتك

لحاجة اريد ذكرها لك، فاكتم علي .

قال كعب : أفعل .

قال ابو نائلة : كان قدوم هذا الرجل (يعني النبي) بلاء علينا . عادتنا العرب ، ورمونا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس .

قال كعب : أنا ابن الاشرف ، أمـــا والله لقد كنت أخبرتك يا بن سلامة أن الأمر سيصير الى ما كنت اقول .

قال أبو نائلة : اني قد أردت ان تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتُحسن في ذلك .

قال كعب : ترهنوني نساءكم ؟

قال ابو نائلة : على رسلك يا كعب ، فكيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك عليهن ؟

قال كعب : ترهنوني أبناءكم .

قال ابو نائلة : لقد أردت أن تفضحنا . إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقـــد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحلقة (السلاح) ما فيه لك وفاء.

قال كعب : إن في الحلقة لوفاء .

قال ابو نائلة : ومتى آتيك بهم ؟

قال كعب : متى شئت ، وليكن ليلاً حتى لا تثيروا ريبة محمد وأصحابه !

وعاد ابو نائلة إلى اصحابه ، وقد أدى دوره كما رسم له وأحكم الفصل الاول من الخطة المرسومة ، فقد أفهم كعباً أن معه جماعة على رأيه حتى لا يرتاب بهم متى قدموا معه واتفق معه ان يرهنوه سلاحهم مقابل بيعهم الزاد لأجل ، وذلك حتى لا يرتاع إذا رآهم يحملون السلاح ، لقد استطاع ابو نائلة ان يدخل إلى قلب هــذا اليهودي من طريقين يعرفهما ممهدين عنده ، عداته لمحمد وحبه للمال والربا .

وتواعدت الجماعة لتنفيذ الفصل الثــاني من الخطة في الليلة التالية .

وفي الموعد المحدد من الليلة التالية التأم جمع الفدائيين فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ وحدثوه بما تم بين أبي نائلة وكعب ، ومــا عزموا على تنفيذه الليلة ، فمشى معهم رسول الله حتى بقيع الغرقد ، وهناك ودّعهم ودعــا لهم قائلاً : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » .



كان كعب بن الأشرف حديث عهد بعرس ، يسمر مع عروسه وقد أغرق جسمه وثيابه بالطيب ، وطاب الحديث بين العروسين فامتد إلى ساعة متأخرة من الليل ، وعندما ثقلت جفونهما واستعدا للنوم سمعا صوتاً ينادي : يا كعب بن الأشرف ، يا كعب بن الأشرف .

فوثب كعب يلبي النداء ، فهبت عروسه وتعلقت بطرف ثوبه واخذت تناشده أن لا ينزل من حصنه ، وتقول له : يا كعب ، إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة .

قال كعب : إنه أخي ابو نائلة ، لو عرف اني نائم ما أيقظني .

قالت ، وهي لا تزال تتشبث بطرف ثوبه : والله إني لأسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم !

قال : قلت لك إنه رضيعي أبو نائلة وابن اخي محمد ابن مسلمة .

قالت : والله إني لأشعر ان في صوته شراً .

نظر اليها مبتسماً ، ثم قال مدلاً بفتوته ، ممتزاً ببطولته دعيني ، لو دعي الفتى لطعنة لأجاب .

وسحب طرف ثوبه من يدها برفق ، ثم نزل من حصنه ، واستقبلته الجماعة بالترحاب ، وساروا معاً يتجاذبون اطراف الحديث ، ويذكرون ما اصابهم بعد مجيء محمد ، ويسألونه ان يبيعهم ... وكعب لا يفتأ يذم لهم النبي ومن آمن معه ، ويذكر لهم ما جرّه على يثرب من بلاء ، ويقول : حتى يثرب ما عادت تسمى باسمها القديم ، فقد اخذ اصحابه يسمونها مدينة الرسول ، وهو كما سمعت يسميها طيبة وطابة .

قال له احدهم : سيعود اسمها القديم يا كعب ، فاصبر حتى ندبر أمرنا .

فيقول كعب : إن صبرت على هذا فكيف اصبر على ما حرّمه على الناس من التعامل بالربا وكيف اصبر وقد باعد ما بيننا وبين إخواننا من الأوس والخزرج ، وزعم أنهم ومن أتى معه أمة واحدة ؟ وكيف تصبرون أنتم وقد جعل آلهتكم إلهاً واحداً ؟

كان الحديث متصلا ، وكعب سادر في غيّه وضلاله إلى ان وصلوا إلى مكان يقال له « شعب العجوز » ، فوضع ابو نائلة يده على رأس كعب ثم شمها وقال : مـا رأيت طيباً أعطر من هذا الطيب !

قال كعب : كيف ، وعندي اعطر نساء العرب واجملهن؟

قال ابو نائلة : يا كعب ، أدن مني رأسك أشمه وأمسح به وجهي .

وبحركة سريعة وضع يده على رأسه واستمسك بـــه وصاح بجماعته : اضربوا عدو الله !

انهالت على كعب اسياف اربعــة ، فلم تغن في حلكة الليل . وصاح عدو الله صيحة ايقظت من بالحصون المحيطة وكلها حصون يهود ، فـــلم يبق حصن إلا وعليـه نار ، وحاولت يهـود ان تأخذ على الفدائيين الطريق ، ولكنهم اعجزوهم ، وكان الحارث بن أوس قـد أصيب بأسياف

إخوانه في عماية الليل ، فاحتمله محمد بن مسلمة ، وساروا يشتدون حتى وصلوا بقيع الغرقد ، فكبّروا : الله أكبر الله أكبر .

وكان رسول الله ﷺ يقضي ليله مصلياً منذ غادروه لمهمتهم ، فلما إن سمع تكبيرهم حتى كبر كما كبروا . وعلم أنهم قتلوه ، وخرج الى باب المسجد يستقبلهم ، فلما اقبلوا عليه قال لهم عبارته المشهورة في مثل هذه المواقف : « أفلحت الوجوه » .

قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله .

وقادهم رسول الله ﷺ الى داخل المسجد ، وجلسوا متحلقين حوله . ثم اخذ قائد الجماعة محمد بن مسلمة يحدث عن صنيعهم ، فقال : عندما رأيت ان اسيافنا لا تغني تذكرت خنجراً حاداً كان معي ، فتناولته وطعنته في بطنه حتى انفذته ، فعلمت اني قتلته .

وفاضت وجوه الحاضرين بشراً وسروراً ، وحمدوا لهذه الجماعة ما قامت به من عمل في سبيل الله ، وتمنى كل واحد لو توكل اليه مهمة كهذه ، ويوفقه الله لإتمامها ، ليقوم مقام هؤلاء الصحابة امام رسول الله ، ويسمع ما سمعوا منه عند استقباله لهم امام المسجد : « أفلحت الوجوه » !

★ ★

عندما اصبح الناس واشرقت الشمس بنور ربها جاءت وفود يهود ، وقد ملأهم الرعب واستحوذ عليهم الفزع ، فقالوا : يا محمد قتل صاحبنا غيلة !

فأخذ رسول الله ﷺ يذكّرهم بصنيعه من التحريض على المسلمين ، وهجائهم والتشبيب بنسائهم .

عندئذ علموا ان الرسول هو الذي أمر بقتله ، وكانوا من قبل يشكون في ذلك ، فازدادوا خوفاً ورعباً وعادوا إلى ديارهم ، وحرصوا على إغلاق ابواب حصونهم مع غروب الشمس وما عادوا يفتحونها لأحد أبداً .

ورأى رسول الله الفرصة مواتيـة لكسر شوكة يهود وإرهابهم ، فقال لأصحابه : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه .

وكان لهذا الأمر ما يبرره ، فيهود لم تتوقف عن التآمر على المسلمين ، ولم يفتر عداؤها للاسلام لحظة واحدة ، ولم تنفع معها عهود او عقود ، فكان لزاماً وحقاً ان يقابلهم المسلمون عداء بعداء وقسوة بحزم .

★ ★

تأديب القبائل المعادية :

كان للنشاط الذي ابداه محمد بن مسلمة في خدمة الاسلام والذود عن المسلمين اثره في نفس الرسول ﷺ وكان رسول الله خير من يعرف الرجال وما يصلحون له ، فقرب اليه

محمد بن مسلمة ، وأوكل اليه مهام حربية كثيرة ، معظمها لو درسناها بعمق مهام فدائية ، مثل تأديب القبائل المحيطة بالمدينة والتي كانت مصدر شغب على المسلمين ، وكانت تساعد قريشاً وتمدها بالرجال .

كانت القبائل النجدية القوة الرئيسية التي ساعدت الأحزاب يوم الخندق وكثّرت عددهم . ومن بين هذه القبائل قبيلة بكر بن كلاب ، فجرد عليها الرسول - عليه السلام - حملة من ثلاثين راكباً ، أمّر عليهم محمد بن مسلمة ، وأمره بالإغارة عليهم والتنكيل بهم حتى لا يفكروا بالعودة إلى إعانة اعداء الإسلام على المسلمين .

خرج محمد بن مسلمة بفرقته الخفيفة ، وسار يكمن النهار ويسير الليل ليفاجىء القوم . وفي عماية الصبح وقف المسلمون يحيطون بمضارب بني بكر ، فوجدوا القوم في نومهم لم يعلموا بهم ، فهتف محمد بن مسلمة : الله اكبر . وردد خلفه ثلاثون صوتاً : الله أكبر . الله أكبر ، وانقضوا على القوم يفتكون بهم ، وبنو بكر لا تدري ماذا تفعل . ولم يجدوا امامهم سوى الفرار عن العيال والمال ، فاستاق المسلمون ما خلفه البكريون غنائم وعادوا بها الى المدينة .

وفي طريق العودة بث محمد بن مسلمة ، القائد النابه ، رجاله حتى لا يفاجأ بكرة بني بكر عليهم ، فاشتبه احد رجال الحملة برجل يسير منفرداً في الصحراء ، فأسره ،

وجاء به الى القائد الذي حقق معه ، فتبين له أن الرجل سيد من سادات بني حنيفة اسمه ثمامة بن أثال ، جـــاء متنكراً لاغتيال الرسول ﷺ ، فقدم بـه محمد بن مسلمة على رسول الله ﷺ ليرى فيه رأيه .



إلى خيبر :

انضم كثير من يهود المدينة الى يهود خيبر ، وراحوا يكيدون للإسلام وأهلـه ، وتمادوا في ضلالهم ومؤامراتهم رغم الطرق العديدة التي اتبعها معهم المسلمون في محاولات لردعهم وإسكاتهم . ولكن هيهات هيهات ، فيهود اشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ولا زالت عداوتهم تقودهم من تهلكة الى تهلكة ، وهم سادرون فيما هم فيـه من غلّ وبغضاء ، ولن يكفوا عن ضلالهم حتى يقودهم إلى البوار والفناء .

وكان لا بد من غزو خيبر ، فانتدب الرسول المسلمين لهذا الغزو ، فلبوا النداء ، فسار بهم الرسول إلى خيبر ، وفي خيبر اعظم حصون يهود ، وفي حصونها أشد رجالهم بأساً واكثرهم شجاعة وإقداماً .

وعندما أطل الجيش الاسلامي على خيبر ، وقف الرسول ينظر اليها ، ووقف المسلمون خلفه ينتظرون ما هو صانع ، فإذا برسول الله ﷺ يرفع صوته قائلاً : « الله اكبر ،

خربت خيبر ، إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

وكبّر المسلمون لتكبير رسول الله ، وتجاوبت بالتكبير بطاح خيبر وحصونها وبساتينها ، ونشط المسلمون للقتال ، وتفاءلوا بالنصر المبين .

أما يهود خيبر فما إن سمعوا هذا النداء الخالد حتى فزعوا وراحوا يهرعون الى حصونهم ، بل حجورهم ، وهم يقولون : محمد والخميس![1] محمد والخميس !

قتل مرحب وكنانة :

واحاط الجيش الاسلامي بالحصون والأسوار ، واستعد للقتال ، فبرز من خلال الحصون « مرحب » أشهر فرسان يهود واشدهم إقداماً ، فبرز له رجال من المسلمين فقتلهم ، وكان قبل خروجه من الحصن قد رمى حجراً من فوق احد الأسوار فقتل به محمود بن مسلمة الأنصاري .

وجال مرحب حول عسكر المسلمين وأخذ يرتجز :

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

ثم وقف امام الجيش وصاح : هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟

فقال رسول الله : مَن لهذا ؟

---

(١) الخميس : الجيش الجرار ، سمي بذلك لأنه خمس فرق، المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق .

فنهض محمد بن مسلمة وتقدم من رسول الله ﷺ وقال: انا له يا رسول الله، انا والله الموتور الثائر. قتل اخي محمود.

فقال له رسول الله : «قم اليه» . ثم دعا له قائلاً : اللهم أعنه عليه .

ونزل محمد بن مسلمة الى غريمه الذي قتل عدداً من المسلمين من قبل . نزل اليه ودعاء رسول الله يرنّ في أذنه: «اللهم اعنه عليه» . فمن كان الله في عونه لا يقدر عليه احد . واندفع البطل بإيمان لا يتزعزع وبشجاعة يقر له بها كل من عرفه ، وصاول مرحباً وجاوله ، وكلما ظن انه تمكن منه وجده قد راغ كما يروغ الثعلب . ودار كل من الفارسين حول صاحبه يريد ان يقتنص منه فرصة فيغتنمها . وكان المسلمون ينظرون الى محمد بن مسلمة بإعجاب وثقة . وكانت يهود تضع كل املها في فارسها الهمام ، فلا تتوقع الهزيمة ، ولا تعرف ماذا تصنع بعده !

ولاحت الفرصة لمرحب فانقضّ على البطل المسلم وحمل عليه بسيفه وضربه به ضربة هائلة انحبست لها انفاس المسلمين جميعاً ، ولكن محمد بن مسلمة تلقاها بالدرقة ، فنفذ نصل السيف فيها ، وعضت عليه ، ودون ان تأخذ ابن مسلمة المفاجأة انقض على غريمه فضربه بسيفه فصرعه [1] !

(١) في رواية أخرى يرجحها معظم المؤرخين أن الذي قتل مرحبا اليهودي هو الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – .

وهتف المسلمون بصوت واحد : الله اكبر .

وانسحبت يهود من ظهور اسوارها ، وقد ملأها رعباً ويأساً مصرع فارسها مرحب .

ودبَّ الحماس والنشاط في جيش المسلمين ، فشددوا من هجماتهم وغاراتهم على اسوار خيبر واستطاعوا ان يقتلوا عدداً من رجال يهود . وأسروا في هجمة من هجماتهم كنانة بن الربيع ، وهو سيد من سادات يهود ، فطلبه محمد بن مسلمة من رسول الله ﷺ ليقتله بأخيه محمود ، فاستجاب له رسول الله ، فأخذه الى ناحية من عسكر المسلمين وضرب عنقه .



هديه الرسول للمجاهد :

قضى محمد بن مَسلمة حياته الى جانب رسول الله ﷺ يدعوه فيهرع الى تلبية النداء ، ينتدبه لأعماله فينفذها على احسن الوجوه واكملها ، يؤمره فيجده نعم الأمير .

وتقديراً من رسول الله لبطولات محمد بن مسلمة ناداه ذات يوماً وأهداه سيفاً وقال له : « يا محمد بن مسلمة ، جاهد بهذا السيف في سبيل الله ، فإذا رأيت المسلمين اقبل بعضهم على بعض فأت به أُحداً فاضربه به حتى تكسره ، ثم كُفَّ لسانك ويدك حتى تأتيك منية قاضية او يد خاطئة » .

وامتدت يد محمد بن مسلمة إلى يد رسول الله ، وأمسكت بالسيف ، ثم راح البطل العظيم يخطر بالسيف امام المسلمين والفرحة تملأ فؤاده .

وعندما جلس ابن مسلمة الى نفسه تذكر كلمات رسول الله : « فإذا رأيت المسلمين اقبل بعضهم على بعض فاضرب به احداً » وساءل نفسه : أأعيش الى ان ارى هـــذا اليوم الأغبر ؟ أيمكن ان يضرب المسلمون رقاب بعض ؟ ويرد على تساؤلاتــه فيقول : لا ، لا ، لا يمكن ان يسلّ المسلم سيفه في وجه اخيه المسلم ! ولكنه عندما يتذكر أنه سمع هذه الكلمات من رسول الله نفسه ، يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون ، اللهم أسألك العافية .



محاورة :

كان لمحمد بن مسلمة – رضي الله عنه – من البنين عشرة ومن البنات ست ، اجتمعوا عنده ذات ليلة ، وقد بلغ السبعين ، وأخذوا يلحون عليه لكي يحدثهم بأخبار جهاده مع رسول الله ﷺ وبأخباره مع خلفائه من بعده .

قال رضي الله عنه : إني لم اتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط إلا واحدة في تبوك ، خلفني على المدينة .

قال أحد أبنائه : هذا والله يا أبي شرف عظيم نتيه به على الدنيا ، فهل تحدثنا عن سرايا رسول الله ﷺ ؟

قال : إنه ما من سريّة لرسول الله ﷺ تخفى عليّ ، إما أن أكون فيها أو ان أعلمها حين خرجت .

قال آخر من ابنائه : إنا لنعلم يا أبي أنك كنت ملازماً لرسول الله ﷺ وانك امرؤ كاتب ، والكاتبون على عهدكم قليل ، فهل كتبت شيئاً لرسول الله ﷺ ؟

قال : نعم يا ابنائي ، لقد كنت ممن شهد على وثيقة صلح الحديبية ، كما شهدت على الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ لوفد ثُمالة والحِدّان في عُمان ، كما شهدت على كتاب الرسول الأمين إلى زُميل بن عمرو من بني عذرة كما كتبت كتاب رسول الله – عليه السلام – إلى مهري بن الأبيض من أهل مهرة .

قال ولده : ما دمت حضرت الحديبية فإنا نحب أن نعرف ماذا فعلت فيها بالإضافة إلى شهادتك على كتاب الصلح ؟

قال : عندما وصلنا الحديبية وصلت الأخبار الى رسول الله ﷺ أن قريشاً تستعد للحرب ، وأنتم تعلمون أننا كنا نقصد العمرة ولا نريد قتالاً ، ولكنا كنا دائماً على استعداد للحرب ، لا نغفل عن ذلك أبداً ، فقد كانت هذه توصيات رسول الله لنا ، فعندما علم الرسول استعداد قريش للحرب أعد ثلاث فرق للحراسة والاستطلاع حتى لا نفاجأ بالعدو ، وقد شرفني الرسول الكريم بأن اكون قائداً لفرقة منها ،

وزاد في إكرامي وتشريفي أن اعطاني فرسه ، فكنت اركبها اثناء قيادتي لفرقة الاستطلاع والحراسة .

قال ولده : وهل حدث تصادم بينكم وبين كفار قريش؟

قال : اعدت قريش فرقة من خمسين رجلاً من ابطال قريش وفرسانها ، وأرادت ان تفاجئنا ، ولكني استطعت ان اعلم خبرهم من العيون التي بثثتها ، فهيأت لهم كميناً استطعت به ان آخذهم جميعاً اسرى وجئت بهم الى رسول الله ﷺ .

قال ولده : لقد علمنا انك قتلت مرحباً فارس يهود في غزوة خيبر ، وكذلك سيداً من ساداتهم ، فهل كان لك أعمال اخرى في غزوة خيبر، فإنها كانت من اعظم غزوات الرسول عليه السلام ؟

قال : كل المسلمين كانوا يضطلعون بأعمال كثيرة، فالرجل المسلم في تلك الأيام كان يقوم بما يقوم به العشرة بل المائة من رجال اليوم ، وقد كنت في خيبر على حرس رسول الله ﷺ ، وأنا الذي ارتدت الموقع الملائم لمقر قيادة الجيش الاسلامي .

قال ولده : لقد كسوتنا يا والدي فخراً ابدياً لا يحول ولا يزول ، ونحب أن نعلم إن كنت رافقت الرسول ﷺ في عمرة القضية .

قال : نعم ، لقد رافقت رسول الله ﷺ في عمرة

القضية ، وعندما وصلنا الى ذي الحليفة أمرني رسول الله ان اتقلد قيادة الفرسان ، وكان معنا مائة فارس ، ثم أمرني ان اتقدم الجيش بفرساني حتى نكون طليعة لهم .

قال ولده : أريد يا والدي أن اسألك سؤالاً أرجو أن لا يكون محرجاً ، ما موقفك يوم فرّ المسلمون يوم أحد ؟

قال : أي بني ، إني لا احتمل أن افارق رسول الله لحظة في سلم وفي حرب ، فعندما رأيت الدائرة تدور على المسلمين في أحد ، هرعت إلى رسول الله ﷺ لأكون بقربه أذبّ عنه وأدفع عنه الشرّ والأذى ، أمـــا أولئك الذين فروا من المعركة فقد ظنوا أن رسول الله – فداه نفسي وأهلي – قد قتل ، وإلا لما فروا عنه أبداً ، وأريدكم يا بني أن لا تصغوا إلى اقوال المتحذلقين الذين لا يجيدون سوى مضغ الكلام ، فوالله لو كانوا معنا يوم أحد لمات واحدهم مكانه فزعاً وهلعاً .

قال ولده : وماذا عن غزوة ذي القَصّة ؟

قال : أمّرني رسول الله ﷺ على سريّـــة من عشرة من الصحابة لتـــأديب بني ثعلبة وبني عوال الذين كانوا يسكنون في ذي القصة ، مكان يبعد عن المدينة أربعة عشر ميلاً ، وحاولنا أن نحيط تحركاتنا بالسرية ، ولكن القوم علموا بنا وكمنوا لنا بمائة من فرسانهم فأحاطوا بنا وأعملوا فينا سيوفهم ، وقاومنا ما وسعتنا المقاومة ، وقتل اصحابي

العشرة ، وأصبت أنا بجروح بليغة ، فظن القوم أني مت فتركوني وانصرفوا ، فقمت بعد انصرافهم ويسّر الله من حملني معه إلى المدينة .

قال ولده : سألناك عن أعمالك الجانبية مع رسول الله أما اعمالك الأخرى معه فإنا نعلمها ونحفظها ، فهل قمت بأعمال للخليفة العظيم عمر بن الخطاب ؟

قال : نعم ، فقد ولاني صدقات جهينة ، وعندما وصلت شكاوى أهل الكوفة على سعد بن أبي وقاص كلفني بتحري صحتها ، وأمرني بأمور فنفذتها كما امرني بها .

قال ولده : لقد أكثر أهل الكوفة من شكوى ولاتهم، واعجب لقوم يشكون خال رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وماذا كانت شكاتهم من سعد ؟

قال : اشتكوا بأنه بنى داراً بالكوفة ، وأنه احتجب فيها عنهم .

قال ولده : وبماذا أمر عمر رضي الله عنه ؟

قال : أمرني ان اعمد الى باب الدار فأحرقه ، ثم أبحث في شكاوى القوم .

قال ولده : وهل فعلت ذلك ؟

قال : نعم ، فعندما وصلت الكوفة سألت عن دار سعد وعمدت الى بابها فأحرقته .

قال ولده : وهل حققت في شكاوام ؟

قال : وهل ذهبت إلا لذلك ؟ لقد حققت فلم أجد إلا خيراً ، وما كنت لأجد عند سعد إلا الخير والبر والتقوى.

قال ولده : نريد أن نسمع قصتك مع عمرو بن العاص.

قال : رأى عمر أن ابن العاص أثرى بمصر ، فأحب أن يبرأ الى الله ، فأمرني أن أذهب اليه وأقاسمه ماله .

قال ولده : وهل فعلت ؟

قال : نعم قد فعلت .

قال ولده : وماذا كان رد ابن العاص ؟

قال : ما كان له أن يخالف أمر عمر . وما كان المال هم صحابة رسول الله عليه السلام .

قال ولده : لقد أكثرنا عليك من السؤال يا والدي ، ولكنا أحببنا أن لا يفوتنا شيء من اخبـار جهادك مع رسول الله ﷺ ، فإن ذلك فخر لنا .

قال : إنما الفخر ان تجاهدوا في سبيل الله كما جاهدنا ، والفخر لكل من آمن بالإسلام هو العمل للإسلام والجهاد في سبيله ، فهذا هو طريق الفلاح الى يوم الدين .

قال أولاده بصوت واحد : أطال الله عمرك يا والدنا ، ونحن على عهد الإسلام ما حيينا .

قال : بارك الله فيكم ، لقد حان وقت النوم ، فانصرفوا راشدين .

★ ★

الفتنة والاعتزال :

ومضت أعوام تحركت خلالها الفتنة ، وافترى قوم على ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقتلوه ظلماً وعدواناً ، وافترق المسلمون بعده ، وسل المسلمون سيوفهم في وجوه بعض .

وتذكر محمد بن مسلمة وصية رسول الله ﷺ ، فحمل سيفه واتجه نحو أُحد فضرب به الصخر حتى كسره ، ثم عاد الى بيته واتخذ لنفسه سيفاً من خشب ، وكأنه يقول : ليت هذه السيوف التي يقتتل بها المسلمون تنقلب خشباً .

واعتزل محمد بن مسلمة الناس الى ان مات في المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ، وذلك سنة ست وأربعين من الهجرة عن عمر يقارب السابعة والسبعين.

رحم الله فارس نبي الله ، وقائد الحرس النبوي ، وجعل في المسلمين اليوم رجالاً كمحمد بن مسلمة ، فما أحوجنا الى أمثاله رضي الله عنه وأرضاه .

كانَ عَمرو بن أميّة الضّمريّ ساعِيَ رَسُولِ الله

الواقدي

في كتابه «فتوح الشام»

عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ

الرجال الذؤبان :

أسمعت بالرجال الذؤبان ؟

إنهم صنف من الرجال عاشوا في الجاهلية ، كان الرجل منهم كالذئب شجاعة وإقداماً وجرأة ، وفيه من صفات الذئب أيضاً ، المنعة والصدود ، والفتك والرهبة ، والخفة وسرعة العدو .

كان هؤلاء الرجال محل احترام المجتمع الجاهلي ، ذلك لأن مجتمع الجاهلية لم يكن يقدر الرجال ويحترمهم إلا لشجاعتهم وفتكهم أو لثرائهم وبذلهم .

ومن الرجال الذين جمعوا صفات الذؤبان ، فملكوا الشجاعة والجرأة ، ووصفوا بالفتك والعدو ، حتى عُدَّ من رجالات العرب وعدّائيهم ، أبو أمية عمرو بن أمية الضمري.

★ ★

فترة العداء :

وعندما أهلت دعوة الحق ، وجاء الله بالإسلام ، وقف ابو أمية موقف الغالبية العظمى من رجالات الجاهلية فلم يؤمن ، وساهم مع من ساهم في حرب الاسلام والمسلمين ، ويبدو أن هذه المساهمة اقتصرت على الاشتراك في الجيوش التي حاربت المسلمين في بدر وأحد ، فلم تذكر لنا المصادر على كثرتها ، أي موقف آخر لأبي أمية في الصدّ عن الاسلام ومحاربته

التفكير السليم :

ويبدو ان ابا أمية كان على قدر من العقل وحظ من التفكير ، فلم يطل به العداء للاسلام ، فما إن انصرف من معركة أحد حتى خلا بنفسه يفكر في موقفه ويزنه بميزان العقل الراجح والتفكير السليم :

لماذا رفض محمد كل ما عرض عليه من أمور الدنيا ، فقد عرضت عليه قريش المال والملك والسلطان فرفضها بجزم ، وثبت على دعوته ثبوت الرواسي ؟!

ما الذي يجعل المستضعفين من أبناء قريش وعبيدها يقفون في وجه السادة ويتحملون عذابهم وظلمهم وقهرهم ، حتى إن الواحد منهم ليموت دون هذا الاسلام الذي آمن به ؟

كيف يصبر أثرياء مكة الذين آمنوا بما جاء به محمد ، على ازدراء قومهم لهم ، وعلى ضياع المال وفنائـه ، ولا يلتفتون إلا لمحمد ودعوته ؟!

ما الذي جعل العشرات من رجال مكة ونسائهـا يهاجرون إلى الحبشة بحراً ، وهي بلاد نائيـة ومسالكها وعرة ، والعرب لا تعرف ركوب البحر وتخافه وتخشاه ؟!

ما الذي جعل أهـل يثرب يتحدون العرب ويهود ويرحبون بمحمد ؟ وما الذي جعلهم لا يعلنون إجارتهم لمحمد ، على عادة العرب ، ويعلنون استعدادهم للقتال دونه ودون هذا الدين الذي يدعو اليه ؟

وكيف تنتصر قلة من الرجال بأسلحة بسيطة ، على العدد الكبير والنفير العظيم والسلاح الوفير ؟ لقـد شهدت هذا بنفسي في بدر ، وانهزمت أمامهم ، ولا والله ما كنت يوماً جباناً افرُّ من أمام الرجال .

وحتى في أحد رأيتهم يهزموننا ، وفينا ابطال الحروب وفرسان القتـال ، وعندما دارت دائرة الحرب عليهم وأحطنا بهم دافعوا عن نبيهم وترّس الرجل منهم عنه بجسمه حتى الموت !

وأدار عمرو هذه التساؤلات في عقله ومحصها في وجدانه وقلّبها على وجوهها ، فوجد ان كل هذا لا يمكن أن يحدث إلا بمعجزة ، وما المعجزة إلا هذا الدين الذي جاء

به محمد ، لقد كُشف الستار ، وبان الصبح لذي عينين ، إن الرجل لنبي وإن هذا الدين لحق ، فيكفي ما ضيعت من عمري في جانب الباطل ، لم يبق لي مقام بين المشركين وما مقامي إلا بين الذين آمنوا بأن الله واحد وأن محمداً رسول الله .

في بئر معونة :

لم يكن قد مضى شهر على إسلام أبي أمية عندما وفد على رسول الله رجل مهيب تبدو عليه ملامح الشجاعة ومظاهر السيادة .

قال رجل لصاحبه : من هذا الذي دخل لتوه على رسول الله ﷺ ؟

فأجابه : ألم تعرفه ، إنه اشهر من نار على علم ، إنه سيد بني عامر ، وهو في الذروة شجاعة ونسباً ، إنه أبو براء عامر بن مالك ، تدعوه العرب « ملاعب الأسنة » لبراعته في فنون الحرب والنزال .

قال الرجل : اذن هيا بنا نشهد حديثه مع رسولنا الكريم .

استقبل الرسول أبا براء استقبالاً حسناً ، وعرض عليه الإسلام . وكان في وجه أبي براء ملامح القبول وعلامات الرضا ، ولكنه لم يبادر إلى إعلان إسلامه ، وطلب من

رسول الله أن يمهله ليفكر فيما سمع منه . وقبل أن ينصرف قال لرسول الله : يا محمد ، إن امرك هذا حسن جميل ، فلو بعثت رجالاً من اصحابك الى اهل نجد، فدعوهم الى أمرك ، رجوت ان يستجيبوا لك .

فقال رسول الله ﷺ : اني اخشى عليهم اهل نجد .

قال أبو براء : أنا لهم جار أن يعرض لهم أحد ، فابعثهم فليدعوا الى امرك .

فبعث رسول الله سبعين رجلاً من خيار المسلمين فيهم عمرو بن أمية الضمري ، وأمّر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي [1] .

وسار الركب المؤمن باتجاه نجد ، فلما وصلوا مكاناً يقال له «بئر معونة» عسكروا فيه وأرسلوا سرحهم مع عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد بن الجلاح، ثم ارسلوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ الى عامر بن الطفيل ، وانتظروا ليروا ماذا يكون رده .

وصل الخبر الى عامر بن الطفيل أن رسولاً جاء اليه بكتاب النبي ، فقطب ما بين عينيه ، ثم سأل : أمعه أحد ؟

---

(١) المنذر بن عمرو الساعدي الخزرجي الأنصاري، كان أحد النقباء في بيعة العقبة؛ شهد بدراً وأحداً، استشهد في بئر معونة فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أعنق المنذر ليموت ، أي أسرع إلى الموت وهو يعرفه .

قالوا : معه سبعون رجلاً جلسوا ينتظرونه في « بئر معونة » .

وقهقه عامر بصوت رددته الصحراء ، وصفق بيديه جذلاً ، ونادى خادمه وطلب منه ان يترع له الكأس خمراً .

وارتاب احد الحاضرين في نوايا عامر فقال له : يا عامر، إنهم في جوار ابي براء .

فرد عامر : في جوار ابي براء ! في جوار ابي براء ! ثم شرب كأسه .

وفي هذه اللحظات وصل الصحابي الجليل حرام بن ملحان ومد يده بكتاب رسول الله الى عامر، وأخذ عامر الكتاب ودون ان يفضه ليعرف ما فيه من الخير امتدت يده الآثمة الى سيفه ووثب الى حرام وفاجأه بطعنة قاتلة !

وتلقى حرام الطعنة الغادرة ، فقال وهو يلفظ انفاسه: الله أكبر ، فزت ورب الكعبة !

وفي هذه اللحظة التي سمع فيها الناس تكبير حرام ، سمعوا ايضاً صوت عامر يدعوهم للوثوب على المسلمين في بئر معونة ، ويقول : يا بني عامر أعينوني على هؤلاء المسلمين !

لقد غرق بنو عامر في بحر من العجب ، رجل يُقتل فيقول : فزت ورب الكعبة . وأين الفوز وهو يموت

ويفارق الحياة ؟! ورجل يأتيه رسول بكتاب فيقتله قبل ان يعرف مـا يحتوي عليه الكتاب ويعلم ان الرجل في جوار عمه ، فلا يقيم للجوار وزناً ولا يعرف للقرابة حقاً !

ويعيد عامر بن الطفيل دعوتـــه مرة أخرى : ما لكم يا بني عامر لا تجيبون ، ألا تعينوني على هؤلاء المسلمين ؟

فيرد بنو عامر : يا عامر ، لن نخفر جوار أبي براء .

وترك عامر هذا الحيّ واسرع إلى أحياء بني سليم ، ودعاهم لغزو كتيبة الإيمان في « بئر معونة » فأجابته قبائل عُصيّة ورعـــل وذكوان ، وسارعوا الى الشر ، وشدوا بالخيل وراء عامر بن الطفيل .

التفت المسلمون إلى عجاج الخيل فرأوا قوماً يريدون الشر ، فأسرعوا الى أسلحتهم ، فما كادوا أن يتمكنوا منها حتى أحاط بهم عدوهم وشنّ عليهم الغارة فاستماتوا في القتال وأثخنوا في عدوهم ، ولكن عدوهم فاجـأهم ، وكان أكثر منهم عدداً وأتمّ عدّة ، فاستشهد المسلمون ولم يبق منهم غير اميرهم المنذر بن عمرو الساعدي ، فقال له عامر : ان شئت أمّنـــاك ! فما التفت الى كلامهم وكرّ عليهم بسيفه فتكاثروا عليه وقتلوه ، فلما وصل صنيع المنذر الى رسول الله قال – عليه السلام – : « أعنـــق ليموت » فسمي المنذر يومئذ « المعنق ليموت » .

وحامت الطير فوق جثث الشهداء ، فرآها عمرو بن أمية

الضمري والمنذر بن محمد ، وكانا في سرح القوم بعيدين عن ارض المعركة ، فقالا : ان لهذه الطير اشأنا ، وأسرعا الى بئر معونة حيث خلّفا اصحابهما ، فرأيا ويا لهول ما رأيا، اصحابهما صرعى وحولهم الخيل المغيرة بقيادة عامر بن الطفيل !

قال المنذر : ماذا ترى يا أبا أمية ؟

قال عمرو : ارى ان نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ليرى رأيه .

قال المنذر : لكنني ما كنت ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال . وشد على القوم فقاتلهم حتى استشهد ، وشدّ وراءه عمرو فأسر ، ثم أطلقه عامر بن الطفيل فداء لنذر كان على أُمه .

وانطلق عمرو بن أمية عائداً وقد خلف وراءه سبعين شهيداً من خيرة المسلمين ، فكان ثائر النفس يود لو تواتيه الفرصة ليثأر لهم من قاتليهم ، وعندما وصل إلى «القرقرة» وجد رجلين من بني عامر ، وهم قوم عامر بن الطفيل ، فقال لنفسه : أدركت بعض ثأري فاحتال حتى تمكن منهما فقتلهما .

ووصل عمرو إلى المدينة وقابل رسول الله ﷺ وأخبره بغدر عامر بن الطفيل وقبائل سليم ، فنظر اليه رسول الله وقال له : « أبت من بينهم ! » كأنه يعتب عليه ، ثم

أخبره عمرو بما فعله بالعامريين ، فقال رسول الله – عليه السلام – : « بئس ما صنعت ! قد كان لهما مني أمــان ، لأدينّهما » .



ابو سفيان يحاول اغتيال الرسول :

كان أبو سفيان بن حرب من أكبر أعداء الاسلام ، وله في حرب الاسلام وأهله مواقف كثيرة ، منها أنه كان واحداً من أبرز زعماء قريش الذين حرضوا على الاسلام ورسوله في مكة قبل الهجرة ، وحاول أن يفتري على رسول الله ﷺ عند قيصر الروم ، وبعد معركة بدر الكبرى تولى القيادة السياسية والعسكرية لقريش ، فجيّش الجيوش لحرب الاسلام وحرّض القبائل على قتال المسلمين ، وعقد الأحلاف مع يهود لحرب الرسول – عليه السلام – وقاد معركة أحد ومثل فيها بشهداء المسلمين ، وقاد معركة الخندق بعد أن حشد لحرب الإسلام عشرة آلاف مقاتل ، ووقف موقفاً مزرياً عندما حرّض على قتل أسرى المسلمين خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة ، ودبّر مؤامرة فاشلة لقتل الرسول غيلة ، فقد روي أنه وقف في جمع من قريش وقال : يا معشر قريش ألا أحد يغتال محمداً ، فإنه يمشي في الأسواق ؟

فقام رجل أعرابي فقال : لقد وجدت أجمع الرجــال

قلباً وأشده بطشاً وأسرعه شدّاً ! فإن أنت أعنتني خرجت اليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر ، أذهب اليه وحدي ، فإني هادٍ بالطريق خرّيت !

قال أبو سفيان : أنت صاحبنا .

فأعطاه بعيراً ونفقة وقال له : اطوِ أمرك .

وخرج الأعرابي يسير ليله ويكمن نهاره حتى أتى المدينة ، فسأل عن رسول ﷺ فدلوه على المسجد ، فلما أقبل على رسول الله قال : « إن هذا ليريد غدراً » .

فقام اليه أسيد بن الحضير فجذبه جذبة أطاحت الخنجر من بين ثيابه ، فصاح الرجل : دمي ، دمي !

فقال الرسول ﷺ : « اصدقني من أنت » .

قال الأعرابي : وأنا آمن ؟

قال عليه السلام : « نعم » .

فأخبره أنه صنيعة أبي سفيان بن حرب وانه أرسله لقتله وأعطاه على ذلك مالاً .

فأبو سفيان بن حرب كان الزعيم الذي تطيعـــه قريش وتجتمع حوله القبائل ، وله نشاط فعال في حرب الدعوة الاسلامية والتحريض عليها ، وقد ولغ في دمـاء المسلمين وتمادى في كل ذلك ، فمن الحكمة أن يتخلص منه المسلمون لعل قريشاً لا تجد من تجتمع عليه لحرب المسلمين بعده .

محاولة قتل أبي سفيان :

أرسل رسول الله ﷺ الى عمرو بن أمية الضمري وسلمة ابن أسلم ، وأمرهما أن يذهبا الى مكة لقتل ابي سفيان ، وقال لهما : « إن أصبتما منه غرة فاقتلاه » .

خرج الصحابيان الفدائيان من المدينة الى هدفهما بمكة، ومعهما بعير واحد ، وسارا يستخفيان حتى وصلا جبل يأجج بمكة ، فحبسا بعيرهما في شعب الجبل ، وانتظرا الى أن خيم الليل بظلامه على الكون فقاما إلى هدفهما ، وخطرت فكرة لسلمة فقال : يا أبا أمية ، لقد وصلنا مكة ، ألا نبدأ فنطوف بالكعبة ونصلي ركعتين ؟

قال عمرو : لقد جئنا في مهمة يجب أن نقدمها ، وأنا أعرف اهل مكة ، إنهم اذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم فأخشى إن بدأنا بالطواف أن يرانا القوم ، وكلهم يعرفني ، فنفشل فيما جئنا له .

وما زال سلمة بعمرو حتى وافقه ، فدخلا مكة وطافا بالكعبة وصليا ركعتين ، ثم انطلقا الى هدفهما ، أبي سفيان بن حرب .

وبينما كان عمرو وصاحبه يمشيان في طرقات مكة نظر اليهما رجل من أهلها فعرف عمرو بن أمية ، وقد كان فيها معروفاً ، فصاح الرجل : من ؟ عمرو بن أمية بمكة ؟ والله إن قدمها إلا لشر ! يا معشر قريش عليكم بالرجل قبل أن يفلت !.

ودبت الحركة في طرقات مكة ، وتنادى القوم للحاق بالفدائيين . فقال عمرو لصاحبه : النجاء ، النجاء .

وخرجا يشتدان ، وأهل مكة في أثرهما ، ولكنهما فاتاهم بمسافة ، فوصلا رأس الجبل ، ودخلا كهفاً فيـه ، وسدّا مدخله بالحجارة .

ولما رأى المكيون أن الصحابيين قـد أفلتا وأن الليل قد أخفاهما ، عادوا أدراجهم وهم يتحدثون عن جرأة عمرو ويتساءلون عن الهدف الذي قدم الى مكة من أجله !

وبات الصحابيان ليلتهما في الغار ، فلما أصبحا وهمّـا بالخروج شاهدا رجلاً من قريش على فرس له ، فخشي عمرو أن يراهما فينذر اهل مكة ، فخرج اليه خلسة واستلّ خنجره وأغمده في قلبه وعاد الى الكهف ، فصاح الرجل صيحة أسمعت من بمكة ، فاشتدوا نحو الصوت ، فوصلوا الرجل وبه رمق . فقالوا : من قتلك ؟

قال : عمرو بن أمية .

قالوا : وأين ذهب ؟

فرفع الرجل رأسه قليلاً ، وفتح شفتيه ليتكلم ولكنه لفظ أنفاسه قبل أن ينطق ، فاحتمله القوم وعادوا بـه الى مكة .

محاولة إنقاذ جثة خبيب :

أما الفدائيان رضي الله عنهما ، فكمنا في الغار يومين حتى خف عنهما الطلب ، فخرجا يريدان المدينة ، فمرا بمنظر ذاب له قلباهما أسى ولوعة.. خبيب بن عدي –رضي الله عنه– مصلوب على خشبة وحوله رجال يوقدون نيرانهم ويسهرون على حراسته . فقال عمرو لسلمة : هل لك في أن نأخذ خبيبا ونعود به الى المدينة ؟

قال سلمة : نعم .

قال عمرو : انتظر حتى أغافل القوم وأنتزع الجثة .

وتسلل عمرو نحو الخشبة ، وانتزع عنها جثة خبيب ، واشتد مسرعاً ، ولحق بـه سلمة بعينه ، ولكن الحرس أحسوا بهما ، فأسرعوا خلفهما بسيوفهم ، ولما رأى عمرو أنهما أدركا ، ألقى بالجثة وصاح بسلمة : النجاء النجاء حتى تأتي البعير فتركبه فإني سأشاغل القوم عنك ولا يشغلنك أمري ، فإنهم لن يصلوا إليّ .

ومضى سلمة إلى البعير فركبه وانطلق به إلى المدينة .

قتل رجل من بني بكر :

ومضى عمرو يطوي الصحراء ماشياً لا يستريح إلا لحيظات ثم يستمر ، إلى أن وصل إلى مكان يقال له « ضجنان » فأوى إلى كهف فيه ، وألقى بجسمه المكدود وأغمض عينيه

وقبل أن يستغرق في النوم سمع صوتاً ببـاب الكهف ، فانحاز إلى جانبه المظلم يستخفي من القادم ، فدخل عليه رجل أعور من بني بكر ، فوثب عمرو ووقف خلف الرجل بقوسه وقال : من الرجل ؟

قال : رجل من بني بكر .

قال عمرو : وأنا من بني بكر ، حسبتك عدواً .

قال الرجل : لقد أفزعتني ، حسبتك أول الأمر من أصحاب محمد .

قال عمرو : وهل عندك شيء عن محمد ؟

قال الرجل : ليس إلا العداوة ما حييت وانطلق يحدو:

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمينا

قال عمرو لنفسه : سنرى .

واضطجع الرجل واستغرق في النوم ، فقام اليه عمرو ووضع سية قوسه في عينه الصحيحة وتحامل عليه حتى بلغ العظم ، فقتله شرّ قتلة .

قتل جاسوس لقريش وأسر آخر :

وخرج مسرعاً حتى لا يدركه أحـد من قوم القتيل ، وما زال يطوي الأرض حتى جاء « النقيـع » فإذا رجلان من قريش جاءا يتجسسان على المسلمين ، فكمن لهما حتى إذا مرّا به أوتر قوسه وصاح بهما : استأسرا .

قالا : من ؟ عمرو بن أمية ؟ أنحن نستأسر لك ؟

فلم يمهلهما حتى يستعدا ، فوضع سهمه في أحدهما فقتله فاستأسر الآخر فأوثقه ثم أتى المدينة يسحبه وراءه !

وهرع المسلمون الى رسول الله يبشرونـه بقدوم عمرو ، ودخل عمرو عند رسول الله يجر معه أسيره ، وحيا بتحية الاسلام وجلس ، وجلس المسلمون حلقة حوله يستمعون اليه وهو يقص على رسول الله أخبـاره من يوم خروجه إلى حين عودته ، وسُرَّ عمرو لما يراه من تبسم رسول الله ومن أمارات الإعجاب التي تبدت على وجوه الحاضرين ، وممـا زاده سروراً أن النبي — عليه السلام — قـال له خيراً ودعا له بخير .



إنسانيه فذة :

في السنة الخامسة من الهجرة ضاقت عـلى أهل مكة الأرض بما رحبت فقد حرمهم الله المطر فأجدبت الأرض وانقطع الثمر وانعدمت في مكة الأرزاق أو كادت ، ولم يرحم القحط غنياً أو فقيراً ، وهل ينفع الغني ماله إذا لم يجد ما يشتريه به ؟! وتضوَّر الناس جوعاً وضجت قريش مما أصابها .

وترامى خبر ضائقة قريش إلى رسول الله ﷺ ، فهل أفرحته هذه الأخبار لأنها نزلت بأعدائه ؟ أم ذكرته بما

فعلته قريش به وبالمسلمين عندما حاصرتهم في شعب ابي طالب وقاطعتهم مقاطعة شاملة حتى إن المسلم ليأكل ورق الشجر اليابس من شدة الجوع ، وكفار قريش ينعمون بما لذ وطاب دون أن يثير الرحمة في أفئدتهم ما يسمعونـه من صراخ أطفال المسلمين من شدة الجوع ، وما يترامى إلى أسماعهم من وطأة الحال على المسلمين وكلهم يمتون لهم بصلة القرابة أو النسب أو الولاء !

قد يكون الرسول تذكر هذا أو بعضه ، ولكنه لم يثر فيه نوازع الانتقام أو التشفي ، لأنه - عليه السلام - نبي الرحمة ، بل أثار في نفسه كل العواطف الإنسانية ووجدها مناسبة يتألف بها قريشاً ، فأوقر قافلة تمر عجوة وأمر عمرو بن أمية أن يوصلها إلى أبي سفيان بن حرب في مكة .

وقبل أبو سفيان الهدية ووزعها في أحياء قريش وشكر لرسول الله ما صنع ولعمرو بن أمية ما تكلفه من جهد ، وأهدى لرسول الله أدماً مما اشتهرت به مكة وأرسلها مع عمرو بن أمية .



رسول الى الحبشة :

كان المهاجرون في الحبشة يتابعون اخبار إخوانهم الذين ثبتوا في مكة . ولما علموا بهجرتهم الى يثرب جلسوا ينتظرون أمر رسول الله ﷺ لكي يلحقوا بهم ، ولكن

المدة طالت ورسول الله يؤجل ذلك حتى تستقر له الأمور في المدينة وما حولها ، ومضت بدر وأُحد والخندق ، وسمع مهاجرو الحبشة بأخبارها ، فتمنوا لو كانوا من جنودها ، وازداد شوقهم لرسول الله ومن معه من المسلمين .

وحدث ما أزعج مهاجري الحبشة ، ذلك أن عبيد الله ابن جحش تنصر ، وراود امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان على النصرانية فامتنعت وثبتت على إسلامها . ووصل خبر ذلك الى رسول الله ﷺ فاستدعى عمرو بن أمية الضمري وكتب رسالة الى النجاشي يدعوه فيها الى الإسلام ويطلب منه أن يزوجه أم حبيبة وأن يحمل من عنده من المسلمين ويرسلهم الى المدينة ، وطلب من عمرو أن ينطلق بالرسالة الى النجاشي.

استقبل المسلمون في الحبشة عمرو بن أميـــة بالبهجة والسرور ، وأمطروه بالأسئلة عن رسول الله والمسلمين :

– كيف تركت رسول الله ﷺ ؟

– كيف تركت أبا بكر وعمر وعثمان و ... و ... ؟

– حدثنا عن أمر بدر، وكيف نصر الله عبده رسول الله وأعز جنده المسلمين ؟

– قل لنا كيف كان مبدأ أُحد ؟ وكيف دارت الدائرة على المسلمين ؟ وكيف سولت لإخوتنا انفسهم ان يخالفوا أمر رسول الله فيتركوا مواقعهم ؟

– حدثنا عن أمر الخندق ، ومن أشار بـــه ؟ وكيف واجهت قريش هذه المكيدة ؟ وكيف هزمها الله ؟

– لقد سمعنا بغدر يهود وبمصيرهم على أيدي المؤمنين ، فكيف كان ذلك ؟ ومتى ؟

رجال ونساء وأطفال يحيطون بعمرو بن أمية ، وكل منهم يريد جواباً على ما سأل ، وعمرو تغمره السعادة وهو يجيب على هذا ، ويصبّر ذاك حتى ينتهي من جواب أخيه . وأخيراً سأل أحدهم : هل أمر رسول الله بردنا الى المدينة ؟

قال عمرو : لبث قليلاً يأتك الخبر ، استأذنوا لي على النجاشي كبير الحبشة .

وفي اليوم التالي كان عمرو في مجلس النجاشي ، وتقبل النجاشي رسالة الرسول بالتجلة والاحترام ، وسأله عنه وعن المسلمين . ولمس عمرو في حديث النجاشي حباً لرسول الله ولدين الإسلام ، فاستبشر خيراً ، وطمع بإسلامه .

استدعى النجاشي مترجمه وأعاد الرسالة الى عمرو وقال له : ماذا يريد رسول الله ؟

قال عمرو وهو ينظر في الرسالة : إنه يدعوك بدعوة الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين .

واستمع النجاشي الى المترجم باهتمام ، فلما أتم ترجمته لكلام عمرو ، هز رأسه وتمتم بكلمات ، فانتظر عمرو المترجم

فإذا هو يقول : نعم أشهد أنه رسول الله ، ولو قدرت أن آتيه لأتيته ، وماذا بعد ؟

قال عمرو : إنه يطلب منك أن تزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان .

قال النجاشي: حباً وكرامة ، هذا شرف عظيم أولانيه الرسول الكريم ، قد زوجته أم حبيبة وأصدقتها عنه اربعمائة دينار، وأمرت لها بكسوة وثياب ، وسآمر أهل بيتي أن يأتوها ويهدوا اليها ما يصلح النساء ويسرهن .. وبعد يا عمرو ؟

قال عمرو : بارك الله على الملك الصالح . إن رسول الله ﷺ يطلب منك أن تحمل المسلمين الذين في جوارك وتعيدهم معي الى المدينة .

قال النجاشي لمترجمه: إذهب من فورك وجهز سفينتين من احسن سفننا واحمل بهما أصحاب رسول الله... والتفت الى عمرو وقال : لقد أمرنا لك بكل ما تريد ، وأقرىء رسول الله مني السلام .

أي فرحة غامرة هذه التي امتلأ بها قلب عمرو ، لقد حضر بنفسه إسلام النجاشي ، ورأى بنفسه مدى إجلاله لرسول الله ومدى احترامه لأوامره . لقد كانت سفارته هذه خيراً له وللنجاشي وللمسلمين .

وتلقى مهاجرو الحبشة عمرو بن أمية لدى خروجه من

عند النجاشي وسألوه بلسان واحد : ماذا وراءك يا عمرو ؟

قال عمرو : الخير كله ، أسلم النجاشي وزوج أم حبيبة من رسول الله وأصدقها عنه وأمر لكم بالسفن لتنقلكم إلى المدينة .

وعمت البشرى بين المؤمنين ، غـداً نلقى رسول الله ونشارك المسلمين في جهادهم ، فمرحباً بالجهاد في سبيل الله.

ووصل المسلمون ورسول الله قد انتهى من فتح خيبر ، آخر معاقل يهود في جزيرة العرب ، بل جزيرة الإسلام ، وأسرع عمرو إلى رسول الله يفضي اليه بنتائج سفارته ، فبان البشر على وجه الرسول ، واستقبل المسلمين واحداً واحداً ، وعندما جاء جعفر بن أبي طالب قبّله – عليه السلام– بين عينيه واعتنقه وقال : « ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » ؟

★ ★

إلى ثقيف :

حاصر رسول الله  بني ثقيف في الطائف ، ثم رأى أن يفك الحصار عنهم لعل الله يأتي بهم مسلمين .

وأخذت ثقيف العزة الجاهلية ، واقامت على عنادها وضلالها ، وكان رجال من ثقيف قد أسلموا واخلصوا دينهم لله فعزّ عليهم ان يتأخر إسلام اهلهم ، من هؤلاء الصحابي الجليل عروة بن مسعود الثقفي – رضي الله عنه – .

جاء عروة إلى رسول الله فقال : يا رسول الله دعني أذهب إلى قومي ادعوهم إلى الاسلام ، لعل الله يكرمني فيسلموا بدعوتي .

قال له رسول الله ﷺ : « إنهم قاتلوك » !

فقال : يا رسول الله ، أنا احب اليهم مـــن ابكارهم ، فدعني أذهب اليهم .

وذهب عروة إلى الطائف وصعد إلى علّيّة له وأشرف منها على قومه ودعاهم إلى الإسلام ، فما استمعوا اليه وما التفتوا إلى ما يقول ، بل رموه بسهامهم فقتلوه .

كان عمرو بن أميه يستمع إلى خبر مقتل عروة عندما فكر أن يغامر ويذهب بنفسه لدعوة ثقيف إلى الاسلام ، واستأذن رسول الله بذلك ثم وجه راحلته نحو الطائف .

ما الذي يدور في ذهن أبي أمية وهو يتوجه الى قوم لم يخضعهم الحصار ، ولم يقنعهم رجل من أحب الناس إلى قلوبهم ، بل عمدوا الى سهامهم فقتلوه بها ؟

ماذا سيفعل عند قوم بينه وبين زعمـائهم خصومات جاهلية ربما زادها عمقاً اتباعه دين الحق وبقاؤهم على دين الضلال والشرك ؟

لقد فكر عمرو في أمر عروة ، لا شك انه أخطأ اذ قام يدعو الى الاسلام في ملأ من الناس ، وفيهم الرعـاع والسفهاء وأوشاب الناس ، فلم يتمالكوا ان اعتدوا عليه ،

ولو أنه دعا زعماءهم على انفراد لما قتل ، لقــد اعتمد عروة على حب ثقيف له ، ومــا درى أن رعاع الناس قُلَّبٌ لا يثبتون على رأي ، يفكرون بأسماعهم ويركبون رؤوسهم ، ويسارعون الى الشر ، ولا يفكرون في العواقب! ولكن الله قدر لعروة الاستشهاد ، وقدر لي أن اتعلم هذا الدرس الكبير ...

اذن فقد قرر عمرو ان يكلم سادتهم وذوي الألباب منهم ، ولكن ألا يحول دون ذلك مــا بينه وبينهم من خصومات واحقاد !

كلا لقد قرر ابو أمية ان يأتيهم من هذا الباب فالعداوة والمباعدة قد تنقلب الى حب ومقاربة اذا جاء الخصم الى عدوه على غير انتظار وهو يحمل اليه النصح الخالص بقلب مفتوح .

وجرياً وراء هذا الرأي اختار أبو أمية رجلاً ممن كان بينه وبينه خصومة ذهبت بهم الى قطيعة طويلة وعداء دفين فيمم منزل عبد يا ليل بن عمرو ، ودخل فناءه ، وطلب من خدمه أن يستدعوه له .

قال واحد من الخدم تطوع أن يدعو سيده : ومن الذي يطلب سيدي ؟

قال : عمرو بن أمية الضمري .

دخل الخادم على سيده عبد يا ليل وقال له : سيدي ،

إن عمرو بن امية الضمري بفناء بيتك ويقول لك : اخرج إليّ أكلمك .

أدهشت المفاجأة عبد يا ليل ، وقـال لخادمه : ويلك ؛ أعمرو أرسل إليّ ؟

قال الخادم : نعم ، وها هو ذا يقف في فناء دارك .

قال عبد يا ليل : إن هذا الشيء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك !

نعم ، لقد كان عمرو أمنع في نفسه من أن يأتيك يا عبد يا ليل لو كان الأمر متعلقاً بإحن الجاهلية وخصوماتها ولكنه يأتيك الآن من اجل الإسلام ، ومن اجل هذا الدين وضع عمرو خصومات الجاهلية دُبر أذنـه وتحت قدمه ، وأتى اليك – يا عبد ليل – لخيرك ولخير ثقيف ، ولخير نفسه ايضاً ، فما اعظم ان يهدي الله على يديه قبيلة بأسرها !

وهرع عبد يا ليل الى عمرو بن أمية وغمره بالترحيب ونادى خدمه وعبيده وأخذ يلقي إليهم أوامره : اذبحوا ، واطبخوا ، واصنعوا ، واجلبوا .

وقاطعه ابو امية : على رسلك يا عبد يا ليل .

قال عبد ياليل : إني أريد ان احتفل بانتهاء الخصومة بيننا .

قال عمرو : يا عبد ياليل ، إنه نزل بنا أمر ليس معه هجرة (خصومة) .

قال عبد يا ليل : وما هذا الأمر ؟

قال عمرو : إنه كان من أمر هذا الرجل (رسول الله) ما قد رأيت ، قد أسلمت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم من طاقة ، فانظروا في أمركم .

وأطرق عبد ياليل ملياً ، ثم رفع رأسه وقال : لقد صدقت يا ابا أمية ، ما لنا بحرب العرب من طاقة .

قال عمرو : لقد انجلى الليل وبان الصبح لذي عينين ، فوالله إن ما يدعو اليه النبي لحق ، وما كنا عليه ، وما أنتم عليه الآن لباطل .

قال عبد ياليل : هذا ما تبين لي منذ زمن ، ولكني وأمثـــالي من سادة ثقيف نخشى مصيراً كمصير عروة ، ولكن دعني أرى رأيي وأجمع قومي ، وسوف أدعوهم إلى هذا الدين برفق ولين ، وأزين لهم أمر الدخول فيـــه ، وأخوفهم مغبة الاعراض والعناد ..

كانت رحلة عمرو إلى ثقيف يحدوها الاخلاص والأمل وكانت دعوته لعبد ياليل نابعــة من القلب ، فوقعت من عبد ياليل موقعاً وصادفت لديه قبولا ، فدعا بها قومه فآمنوا.

وعاد عمرو بن أمية إلى رسول الله ومعه وفد من سادة ثقيف فوقفوا بين يدي رسول الله يشهدون بشهادة الحق ، ويبشرون رسول الله بإسلام ثقيف .



إلى مسيلمة الكذاب :

ظن رجال من العرب أن النبوة أمنية يمكن ان يمني بها الانسان نفسه ، ثم يعمل على ادعائها ، فينقلها من عالم الخيالات والأحلام الى عالم الإحساس والواقع ، وظنت قبائل من قبائل العرب ان النبوة ابتداع ابتدعته قريش لتباهي به القبائل وتفاخرهم بمجده وسؤدده ، وعندما وجدت هذه القبائل من رجالها من ادعى النبوة بادرت تتلقف الفرصة وتنتهز المناسبة لتقابل قريشاً فخراً بفخر ونبوةً بنبوة !

هكذا ظن مسيلمة الكذاب ، وكذلك كان ظن قومه من بني حنيفة ، وذهب بعض رجال هذه القبيلة في التعصب مذهباً جعلهم يعلنون ان كذاباً من بني حنيفة احب اليهم من صادق من قريش !

وأرسل رسول الله كتاباً الى مسيلمة الكذاب مع عمرو ابن امية الضمري ، يحبب فيه الإسلام الى مسيلمة ويكره اليه الفتنة ويبغضه فيها وينهاه عن ركوبها .

وانطلق عمرو الى مسيلمة في اليمامـــة ، وسلمه كتاب رســول الله ﷺ ، ورأى عمرو من غرور مسيلمة ومن افتراءاته الشيء الكثير ، وصبر على ما رأى انتظاراً منه لجواب كتاب رسول الله ، وأملى مسيلمة كتابه وعمرو يسمع، فراودته نفسه أن يثب عليه فيفتك بــه لولا انه لم يؤمر بذلك ، ويود إتمام ما أمره به الرسول .

ماذا كتب مسيلمة في رده على كتاب رسول الله ؟

كتب يقول: « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله، سلام عليك . أما بعد ، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون » .

وحمل عمرو هذه الرسالة وانطلق بها يقطع الصحراء ، وانطلقت الأفكار تخطر على فؤاده .. كم هي سامية أهداف الرسالة السماوية التي حملها لنا رسول الله ﷺ ، وكم هي متهافتة ومتهالكة هذه الأهداف التي يسعى اليها مسيلمة . إن رسولنا الكريم يحلق بنا في أجواز الفضاء الرباني السامي ، ويحاول مسيلمة بكذبه وافترائه أن يشد الناس الى الأرض ويمرغهم بالتراب ، إن رسولنا العظيم يدعو إلى وحدة الانسانية تحت لواء التوحيد ، ومسيلمة لم يزل متمسكاً بنتن العصبية وأوضارها ...

ونظر عمرو إلى الرسالة التي بين يديه ، وقال لنفسه : لولا ما حملت من الأمانة لما أوصلت مثل هذه الرسالة لرسول الله ﷺ ، ولولا ما أعرف من حكمة رسول الله وفضل رأيه وما يتنزل عليه من الوحي لتكفلت بهذا الدعي الكذاب ..

ومدّ عمرو الرسالة إلى رسول الله ، وطأطأ برأسه خجلاً مما فيها ، فقرأها – عليه السلام – ثم أمر من يكتب الى

مسيلمة هذا الجواب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فالسلام على من اتبع الهدى ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

فيا لك من أحمق أيها الكذاب مسيلمة ، تريد الأرض مناصفة بين قومك وبين قريش ، وما علمت أن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده ، وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ، ولم يعد قريشاً أو سواها من القبائل لنسبها أو شرفها ، فالله لا يعطي على الأنساب ولكنه يعطي على صالح الأعمال ...



في الشام ومصر :

واستمر عمر بن أمية – رضي الله عنه – يعمل للاسلام ، لا يفتر عن ذلك لحظة ، شأنه شأن الصحابة جميعاً ، وخرج مع الجيوش الاسلامية التي توجهت لغزو الروم ، وكان تحت امرة ابي عبيدة عامر بن الجراح عندما حاصر المسلمون انطاكية ، وكان ابو عبيدة قد أرسل نفراً من المسلمين خفية فاختلطوا بالروم داخل اسوار انطاكية ، ليكونوا عيوناً للمسلمين على الروم ، ولكن الصلة انقطعت بهم لكثرة عيون الروم ولشدة مراقبتهم للأسوار ومداخلها ، فأرسل ابو عبيدة الى عمرو بن أميـة وكلفه بأن يذهب خفية الى

أولئك المسلمين ليعلم امرهم ويأتي بما عندهم ، فاحتال عمرو لنفسه حتى دخل انطاكية واتصل بالمسلمين فيها ، وعلم منها ما اراد ، وعاد الى أبي عبيدة بالأخبار .

ويحلو للواقدي صاحب فتوح الشام ان يطلق على عمرو ابن أمية لقب « ساعي رسول الله » ، وذلك لما لاحظه من كثرة استخدام رسول الله  لعمرو في توصيل رسائله الى الملوك والأمراء وسائر العرب ، وقد ذكر الواقدي ان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – استعمل أبا أمية في خلافته للغرض نفسه ، فأرسله برسالة الى عمرو بن العاص يحثه على المسير الى مصر ..

★ ★

العودة إلى المدينة :

وكما تحن الأم الى اولادها كان الصحابة رضوان الله عليهم يحنون الى المدينة لمقام رسول الله فيها ولذكرياتهم التي خلفوها هناك .

وأحس عمرو بهذا الحنين ، فارتحل من الشام واستقر بالمدينة ، ولم ينشب ان مات فيها وعمره ستون سنة .

رحمه الله ، ورضي عنه ، وجعل في المسلمين مثله رجالاً يمتلئون اخلاصاً وتضحية للدين الحنيف .

ما انـت إلا إصبـع دميـتِ وفي سبيـل الله ما لقيتِ

الوليد بن الوليد المخزومي

الوليد بن الوليد المخزومي

قبائل قريش :

كانت قريش قبائل تنتمي الى أب واحد، ولكنها لم تكن سواء في السيادة والشرف، فمنها ما كان متقدماً فيهما، ومنها ما كان متأخرا لا يكاد يذكر له شيء منهما، ومنها ما كان بين هذا وذاك، لا هي بالنابهة المتألقة فيهما ولا هي بالخاملة ميتة الذكر. . .

وكانت المنافسة على السيادة والشرف تدور بين ثلاث من قبائل قريش، هاشم وأمية ومخزوم، وكانت هذه المنافسة تشتد أحياناً حتى تغدو قريبة من العداء المستحكم، ولكن التقدم كان دائما من نصيب بني هاشم وكانت القبيلتان الأخريان، أمية ومخزوم، تحاولان ان تصعدا سلم الشرف والسيادة لتلحقا بهاشم، ولكن هيهات هيهات. . فقد بقي بنو هاشم سادة قريش وبقيت امية ومخزوم بعدهم تجريان وراءهم تحاولان ان تلحقا بهم وتنافساهم.

لهذه المنافسة المتقدة على الشرف والسيادة برز من تلك القبيلتين رجال يذكرون اذا ما عدت رجال قريش، ويحضرون اذا ما عقدت مجالس قريش، تلك المجالس التي خصصت لها ندوة قريش التي لا يحضرها الا راسخ في السيادة معرق في الشرف. . .

بنو مخزوم والدعوة الى الإسلام:

عندما عرض رسول الله ﷺ دعوة الإسلام على قريش، تلقاها زعماء القبائل، ومنهم بنو مخزوم، على انها مكرمة من مكارم السيادة والشرف تتنافس عليها القبائل ويتسابق اليها الرجال، فأبى هؤلاء الاشراف ان يقروا لبني هاشم بالنبوة، وناصبوا رسول الله العداء، اما العقلاء من شباب قريش فقد تلقوا دعوة الإسلام بالقبول، فأقبلوا على رسول الله مصدقين وعلى دعوة الإسلام مؤمنين.

كان بنو مخزوم من اكثر القبائل القرشية عداء للرسول ودعوته، ابوا ان يكون النبي من قبيلة اخرى غيرهم وقد بالغوا في العداء ولجّوا فيه حتى ظهر من بينهم فرعون هذه الامة، ابو جهل عمرو بن هشام، كما ظهر من بينهم واحد من زمرة المستهزئين بالدعوة: الوليد بن المغيرة...

وعلى هذا العداء الشديد من زعماء بني مخزوم وسادتهم، فقد آمن من عقلاء شبابهم نفر آثروا الحق والصدق على التنافس على رموز الدنيا البالية الفانية، فقد كان من بين السابقين الى الاسلام، سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة المخزوميان..

موقف الوليد بن المغيرة من الاسلام:

كان الوليد بن المغيرة سيد بني مخزوم، وكانت له في قريش مكانة سامية واحترام عظيم، وكان هو في نفسه عظيماً، لا يرى لأحد عليه فضل، ولا يرى احداً أحق منه بزعامة قريش وسيادتها، فقد كان القرشيون خاصة، والعرب عامة، يعتبرون العز والسيادة للكاثر مالا وولداً، وقد آتى الله الوليد مالاً وولداً، فكيف لا يرى نفسه سيد قريش وقد كان عنده من المال ما مكنه من كسوة الكعبة بمفرده سنة

وتكسوها قريش مجتمعة سنة أخرى حتى سُمي بينهم بالعِدْل.. أي أنـه يعدل قريشاً كلها مالا... ثم كيف لا يرى نفسه سيد قريش وكبيرهـا وقـد آتـاه الله ولـداً يصـول بهم ويجول بين رجال قريش وقبـائلها... فقد كان له من الاولاد: خالد بن الوليد، وعمارة بن الوليد، وابو قيس بن الوليد، وهشام بن الوليد، والوليد بن الوليد.

وعندما عرض رسول الله ـ ﷺ الاسلام على قريش فزع الناس الى الوليد يسألونه الرأي، فما كان منه الا ان قال لهم قبل ان يسمع للرسول وقبل ان يستمع الى القرآن: أينزل الوحي على محمد واترك انا كبير قريش وسيدها ويترك ابو مسعود سيد ثقيف.. ونحن عظيما القريتين!

وقد حكى لنا القرآن الكريم قصة الوليد هذه وردّ عليها فقال: «وقالوا: لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم، اهم يقسمون رحمة ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنـا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْريا، ورحمةُ ربك خير مما يجمعون»[1].

كانت هذه ردة الفعل الاولى لدى الوليد بن المغيرة.. انه لا يقبل ان ينزل القرآن على فتى يتيم فقير في قريش ويترك هو كبير القوم واكثرهم مالاً وولداً...

ولكن.. هل يتـراجـع الوليد عن هذا الموقف عندما يقابل الرسول ويستمع اليه؟

لقد كانت الفصاحة في قريش، وكان الوليد على درجة عالية من الفصـاحـة والتـذوق للفصيح، ولكنه كان يتحاشى ان يستمع

---

(١) الآيتان ٣١ و٣٢ من سورة الزخرف.

للقرآن او ان ينصت لحديث الرسول، ولكن هذا الموقف لم يستمر، فقد مرّ ذات يوم رسول الله وهو يقرأ القرآن، فقرعت آياتُه أذنيه، فوقف فأنصت، فأثرت آيات القرآن في قلبه، فانطلق حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال لهم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن... والله إنّ له لحلاوة وان عليه لطلاوة، وإنّ اعلاه لمثمر، وان اسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه. ثم انصرف الى منزله مفكرا فيما سمع من محمد وفيما قاله لقومه من بني مخزوم.

قال بنو مخزوم: لقد صبأ والله الوليد، ولتصبأنَّ قريش كلُّها.

قال ابو جهل: أنا أكفيكموه..

وانطلق ابو جهل حتى دخل على الوليد وجلس الى جانبه متصنعاً الحزن والأسى، فقال له الوليد: ما لي أراك حزيناً يا بن أخي؟

قال ابو جهل: كيف لا احزن وهذه قريش تجمع لك مالاً ليعينوك على كبر سنك، ويزعمون انك زيّنت كلام محمد وصبأت لتصيب من فضل طعامه وتنال من ماله؟

فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش اني من اكثرهم مالاً وولدا؟ وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام؟

ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم: تزعمون ان محمداً مجنون، فهل رأيتموه يُخنق؟

قالوا: اللهم لا

قال: تزعمون انه كاهنٌ فها رأيتموه تكهن قط؟

قالوا: اللهم لا

قال: تزعمون انه شاعر فها رأيتموه نطق بشعر قط؟
قالوا: اللهم لا.
قال: تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط؟
قالوا: اللهم لا.
ثم التفت الناس الوليد وقالوا: فما هو اذن؟
فروّى قليلاً يفكر في هذا الامر ثم قال: ما هو إلا ساحر، اما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده، ما هذا الذي يقوله الا سحر يؤثر.

ونـزل القرآن مرة ثانية يحكى موقف الوليد ويقرّعه ويتوعده. فقال ـ جلّ من قائل ـ: «ذَرني ومن خلقت وحيدا، وجعلتُ له مالاً ممدودا، وبنين شهودا، ومهدت له تمهيدا، ثم يطمع ان ازيد، كلا انه كان لآياتنا عنيدا، سأرهقه صعودا، انه فكر وقدر، فقتل كيف قدّر. ثم قتل كيف قدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم ادبر واستكبر، فقال ان هذا الا سحرٌ يؤثر، ان هذا الا قول البشر، سأصليه سقر...»[1].

مصير أولاد الوليد:

أما عمارة بن الوليد فقد كان أنهد فتىً في قريش وأجمله، بلغ من إعجاب قريش بشبابه وجماله ان عرضوه على ابي طالب ليتخذه ولدا بدلاً من محمد ـ عليه السلام ـ، على أن يأخذوا محمداً فيقتلوه.

قالوا: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتىً في قريش واجمله فخذه، فلك عَقْلُه ونصُره، واتخذه ولداً، فهو لك، وأسلم لنا ابن اخيك هذا الـذي قد خالف دينـك ودين آبائك، وفرّق جماعة

(١) الآيات من ١١ الى ٢٦ من سورة المدثر.

قومك، وسفّهَ احلامهم، فنقتله . . . فإنما هو رجلٌ برجل!

قال ابـو طالب: لبئس ما تسـومونني، أتعطونني ابنكم اغذوه لكم، واعطيكم ابني تقتلونه؟

وخرج القوم من عند ابي طالب وقد اجمعوا على عداوته، وتشديد الوطأة على محمد ومن تبعه منهم. وأمر رسول الله - ﷺ - من أسلم بالهجـرة الى الحبشـة فراراً بدينهم من أذى قريش، فأرسلت قريش وراءهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد يغرون بهم النجاشي لعله يردهم عن دينهم او يسلمهم الى قريش تسومهم سوء العذاب . .

وكـان مع عمـرو بن العـاص في رحلته الى النجاشي امرأته، فراودهـا عمارة عن نفسها، فأسرّها عمرو حتى اغرى به النجاشي، فكاد له هذا حتى قتله طريداً شريداً في صحاري الحبشة.

واما ابو قيس بن الوليد فقد قُتل بمكة كافرا، ولم تذكر المصادر التي بأيدينا كيف كان قتله، واغلب الظن انه قتل في اثناء فتح مكة.

وامـا خالـد بن الـوليد، فهـو سيف الله المسلول، وصـاحب الفتوحات المجلّية في جبهتي فارس والروم . . . لم يزل معانداً لرسول الله - ﷺ حتى اسلم بعد الحديبية، فشارك في غزوة مؤتة، فأظهر من الكفـاية الحـربية والمهـارة الادارية ما استحق عليه لقباً من ألقاب الإسلام الخالدة . . سيف الله . . رضى الله عنه وأرضاه.

أما هشام بن الوليد فهو ذو الأعصاب المتوفزة والمزاج الحادّ، قتل أبا أزيهر الدوسيّ على مرأى من الناس ومشهد، تلبية لوصية أبيه التي أقـرّ فيهـا انـه متجنٌ على الـرجـل، ومع ذلك أوصى بقتله عصبية جاهلية، فاستجاب هشام للوصية، وقال حين اقدم على قتله يصف نفسه:

لسـاني طويلٌ فاحـترس من شدائـه
عليكَ، وسـيفـي من لسـاني أطـول !

وبقي هشام على كفره الى يوم الفتح . . فأسلم، وكان من طائفة المؤلفة قلوبهم . . .

هشام وابن عمه عيّاش :

أسلم عياش بن أبي ربيعة المخزومي قبل دخول رسول الله ـ ﷺ ـ دار الأرقم، فهو من السابقين الى الاسلام، وهاجر الى الحبشة مع زوجته، وفي الحبشة وُلد له ولد اسماه عبدالله، ثم عاد من الحبشة مع من عاد منها من المسلمين المهاجرين، واخذت وطأة قريش تزداد شدة وعنفاً على المسلمين، وقررت كل قبيلة ان تتكفل بمن آمن منها، فتكيل له العذاب، ولا ترفعه عنه حتى يرتد عن دينه.

وجاء نفر من بني مخزوم الى هشام بن الوليد يستأذنونه في تعذيب ابن عمه عياش بن ابي ربيعة . . .

قالوا له: إنا قد اردنا ان نعاقب هؤلاء الفتية على هذا الدين الـذي احـدثـوا، وإنـا نستأذنك في عياش، قال هشام: هذا عياش فعليكم به فعاتبوه، وإياكم ونفسه، وقال:

الا لا يُقْتَلَنَّ أخـي عُيَيْشٌ فيبـقـى بينـنـا أبـداً تلاحـي

احذروا على نفسه، فأُقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلنَّ أشرفكم رجلًا . . .

فعاد القوم من حيث اتوا، وقال بعضهم لبعض: اللهم العنه، فمن يغرر بهذا الخبيث، فوالله لو أُصيب عياش في ايدينا لقتل اشرفنا رجلا!

وانصرفوا عن عياش فلم يؤذوه.

عياش يهاجر مع عمر بن الخطاب:

عندما أذن رسول الله ﷺ ـ للمسلمين بالهجرة الى المدينة، اتّعد عمر بن الخطاب وعياش بن ابي ربيعة وهشام بن العاصي ان يخرجوا من مكة فرادى وان يلتقوا عند مكان في ظاهر مكة يقال له «التناصب» وقالوا: أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس، فليمض صاحباه.

فأصبح عند التناصب عمر وعياش، وحبس هشام، فمضيا حتى قدما المدينة ونزلا في بني عمرو بن عوف بقباء.

أبو جهل يردُّ عياشاً:

وخرج ابو جهل واخوه الحارث بن هشام حتى أتيا قباء، وقالا لعياش ـ وكان ابن عمهما واخاهما لامهما ـ: إن أمك قد نذرت ان لا يمسَّ رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تعود.

ورقّ لها عياش، وعزم على العودة معهما... فلما علم عمر بذلك اتاه مسرعاً وقال له: يا عياش، انه والله ان يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فوالله لو آذى امك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت.

قال عياش: أبرُّ قسم أمي، ولي هناك مالٌ فآخذه.

قال له عمر: والله انك لتعلم اني لمن اكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما.

فأبى عياش إلا أن يخرج معهما...

فلما أبى إلا الخروج قال له عمر: أما إذ فعلت ما فعلت، فخذ

ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها.

وخرج عياش راكباً ناقة عمر، وخرج معه ابو جهل والحارث بن هشام وقد بيتا له امرا...

وعندما ابتعدوا عن المدينة التفت ابو جهل الى عياش وقال له: يا ابن أخي، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، افلا تعقبني على ناقتك هذه؟

قال عياش: بلى... وانـاخها ليتحوّل عنها لابي جهل، فلما استوى على الارض عدا عليه الرجلان فأوثقاه وربطاه... وساقا به الى مكة على هذه الحال.

وعنـدمـا دخـل ابو جهل واخوه الحارث مكة يسوقان بعياش موثقا، واهل مكة من حولهم معجبون بفعلهم، قال لهم ابو جهل: يا اهل مكة؛ هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا!

أبو جهل يحبس عياشاً:

لم يستطع ابو جهل ان يعذب عياشاً لمقامه من هشام بن الوليد، فحبسه في السجن الذي حبس به سلمة بن هشام المخزومي من قبل.

وكان سلمة بن هشام ـ رضى الله عنه ـ ممن أسلم مبكرا وممن هاجر الى الحبشة، فلما عاد منها فيمن عاد من المسلمين عدا عليه ابو جهل ـ لعنه الله ـ وضربه وعذبه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب في محاولة لرده عن دينه، ولكن سلمة ثبت، فلما يئس منه ابو جهل حبسه في بيت من بيوت مكة وجعل عليه عيناً لا تفارقه...

رسول الله يدعو للحبيسين:

وتناقل الناس خبر الحبيسين وما يلقيانه من عنت في محبسهما وما يبديانه من جلد وصبر وثبات على الايمان عظيم، فكان رسول الله - ﷺ - يدعو لهما في صلاة الصبح ويقول: اللهم أنج عياش بن ابي ربيعة وسلمة بن هشام، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين. . .

ولما طال حبسهما اخذ رسول الله - ﷺ - يدعو لهما كلما فرغ من صلواته ويقول: اللهم انج سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وضعفه المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. .

الوليد بن الوليد بن المغيرة يقع في أسر المسلمين:

ونشبت معركة بدر، ودارت الدائرة على أنصار الأصنام، . فانفرط عقدهم، وفروا في فوضى واضطراب، فلحق بهم المسلمون يقتلون فريقاًويأسرون فريقاً، وكان ممن وقع في ايدي المسلمين اسيراً الوليد بن المغيرة المخزومي، فقد اسره عبدالله بن جحش - رضى الله عنه -.

وعندما رأت قريش ان تفادي اسراها قدم الى المدينة خالد بن الوليد وهشام بن الوليد يسعيان في فداء اخيهما الوليد واخذ خالد وهشام في مساومة عبدالله بن جحش في فداء الوليد، فأبى عبدالله بن جحش إلا اربعة آلاف درهم وشكّة[1] أبيهم الوليد بن المغيرة.

وتأبى خالد ان يطوع بهذا الفداء. . . وكان الوليد بن الوليد اخاه لابيه. .

---

(١) شكة الوليد بن المغيرة هي عدته الحربية، وكانت درعاً فضفاضة وسيفاً وبيضة (البيضة: غطاء الرأس في الحرب).

وطاع به هشام بن الوليد. . . وكان الوليد اخاه لابيه وأمه . . .

وتلاحى خالد وهشام. . . فقال هشام لخالد: إنه ليس بابن أمك، والله لو ابى فيه الا اضعاف ذلك لقبلت

عند ذلك سكت خالد سكوت المغلوب على امره، ودفعت الدية

الى عبد الله بن جحش. . .

إسلام الوليد بن الوليد:

وخرج هشام وخالد بأخيهما الوليد قاصدين مكة، ولما وصلا ذا الحليفة افلت منهما واتى رسول الله - ﷺ - وشهد بالشهادتين.

وتبعه اخواه فما أدركاه إلا وهو يعلن إسلامه امام رسول الله - عليه السلام -، فقال له خالد معاتباً: هلا كان هذا قبل ان تفتدى وتخرج مأثرة أبينا من أيدينا فاتبعت محمداً اذ كان هذا رأيك؟

قال الوليد: ما كنت لاسلم حتى أفتدى بمثل ما افتدي به قومي، وحتى لا تقول قريش انما اتبع محمداً فراراً من الفدى. وأمن الوليد من اذى اخويه عندما رأى ما رأى من لينهما معه، فعاد معهما الى مكة اذ كان له هناك مال رجا ان يبيعه ثم يكر عائداً الى المدينة.

اخوال الوليد يحبسونه.

وعندما وصل الوليد الى مكة وسمع اخواله بإسلامه عدوا عليه فقيدوه وحبسوه، ويبدو ان ذلك كان عن رضاً من اخويه هشام وخالد، وإلا فما كان لاخواله ان يفعلوا به ذلك واخواه يأبيانه، فما كان لاحد ان يفتات عليهما وهما من هما عزة ومنعة وسيادة.

الرسول يدعو للوليد:

وعندما علم رسول الله ـ ﷺ ـ بحبس الوليد قرنه في الدعاء مع الأسيرين قبله، سلمة وعياش، فكان يقول في صلاة الفجر من كل يوم: اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف.

نجاة الوليد من الاسر:

ورقت ام الوليد لابنها، وما راقها ان يحبس اخوتها فلذة كبدها، فانسلت اليه في محبسه فَحَلَّت وثاقه واطلقته، واخذت تحثه على اللحاق

برسول الله والمسلمين وتقول:

هاجر وليد وبعِ المساقة
واشتر منها جملاً او ناقة
وارم بنفسٍ عنهم مشتاقة

وانطلق الوليد عائداً الى المدينة المنورة، وانضم الى الفئة المؤمنة فيها، مشاركاً في جهادها لاعلاء كلمة الله في الارض.

الوليد يشكو للرسول من مرض به:

كان الوليد يفزع في منامه، وربما كان ذلك مما لاقاه في أسر اخواله، فجاء الى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال له: يا رسول الله، اني اجد وحشة في منامي.

فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: إذا اضطجعت للنوم فقل: بسم الله، أعوذ بكلمات الله من غضبه وعقابه وشرِّ عباده ومن همزات الشياطين، واعوذ بك ربِّ ان يحضرون... فإنه لا يضرك.

الوليد في عمل فدائي:

التفت رسول الله - ﷺ - الى الوليد بن الوليد وسأله عن عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام، فقال الوليد: تركتهما في ضيق وشدة وعنت، وهما في وثاق؛ رجل احدهما مع رجل صاحبه.

فأهم ذلك رسول الله - ﷺ - وقال لمن حوله: من لي بعياش وسلمة؟

قال - عليه السلام - انا لك بهما يا رسول الله.

قال - عليه السلام -: انطلق حتى تنزل بمكة على القين[1]، فإنه قد أسلم، فتغيب عنده واطلب الوصول الى عياش وسلمة...

وانطلق الوليد مستخفيا، فدخل مكة، ونزل عند القين، واخذ يتحسّس اخبار الاسيرين ليعرف موضع حبسهما. وخرج ذات ليلة فالتقى امرأة تحمل طعاماً، فقال لها: اين تريدين يا امة الله؟

قالت: اريد هذين المحبوسين.

فعرف الوليد انها تعني صاحبيه، فانطلق خلفها وهي لا تشعر به، وما هو الا ان رآها تدخل بيتاً فأدرك انه المكان الذي فيه الاسيرين.

نظر الوليد الى محبس صاحبيه فرآه لا سقف له يقيهما حرّ الصيف او برد الشتاء، فأدرك مدى الشدة التي وقعا فيها والمحنة التي يعانيان منها، فقرر ان يسرع في انقاذهما حتى يخلصهما مما هم فيه من بلاء وشدة.

انقلب الوليد مسرعاً الى حيث مخبأه في بيت القين، فقد حرص ان لا ترتاب به المرأة التي أوصلت الطعام الى المحبوسين، وانتظر حتى تيقّن من انصرافها، ثم استبرأ الطريق المؤدي الى محبس الاسيرين، ثم

---

(١) القين: الحدّاد، ويبدو أن حداداً كان بمكة، ليس بها حداد غيره.

انسل حتى اتى هذا البيت الذي لا سقف له، فتسوّره، ثم قفز الى حيث الاسيرين، فوجدهما يرسفان في قيد من حديد، فأخذ مروةً (حجراً صلداً) فوضعه تحت القيد، ثم اهوى على القيد بسيفه فقطعه... ومنذ ذلك الحين سمي سيفه بذي المروة.

وما ان تحرر الاسيران من قيدهما حتى نهضا وعانقا اخاهما، ثم هرع الثلاثة الى الباب فحطموه، وانطلقوا جميعاً يسلكون طريقاً غير مطروق يضللون به اهل مكة...

ونذر اهل مكة بالنبأ، فقد صاح فيهم صائح ممن كانوا يترددون على الاسيرين للتشفي والاستهزاء بهما: يا اهل مكة ادركوا سلمة وعياشاً فقد فرا من محبسهما...

وما أسرع ما انطلق خالد بجماعة من فرسان مكة في محاولة لردّ الاسيرين، ولكنه لم يدركهما، فانكفأ بمن معه الى مكة، وقد ارتسمت على وجوههم علامات الفشل والخيبة...

ولما علمت أم سلمة بفرار ابنها وبالمحاولة التي حاولها اهل مكة لرده، قالت تدعو له بالنجاة:

لاهُمّ ربّ الكعبة المسلّمة
أظهر على كل عدوٍّ سلمة
له يدان في الأمور المبهمة
كف بها يعطي وكف منعمة

ونجىّ الله عياشاً وسلمة والوليد، فانطلقوا يجدون في السير، يحدوهم شوق غامر للقاء الرسول وصحبه، وكلما اقتربوا من المدينة زاد شوقهم وسرورهم، فاشتدوا في السير، وبالغوا فيه، وودوا لو انهم

استطاعوا ان يركبوا الريح او ان تكون لهم اجنحة يطيرون بها الى الاحبة محمد وصحبه.

وعثر الوليد في سيره فدميت اصبعه، فلم يبال بها اصابها، وقال:

ما انت إلا اصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

ووصل ركب الثلاثة الى المدينة، ودخلوا مسجد الرسول - ﷺ - وكان لقاء.

الوليد وإسلام أخيه خالد:

عندما اعتمر رسول الله - ﷺ - عمرة القضية ضاقت نفس خالد، فخرج من مكة حتى لا يرى مواكب المسلمين وهي تطوف حول الكعبة، وحتى لا يسمعها وهي ترفع اصواتها بالتهليل والتكبير.

وعندما اجتمعت قوافل الاسلام حول الكعبة التفت رسول الله - ﷺ - الى الوليد بن الوليد اخي خالد وقال له: أين خالد؟

قال الوليد: يأتي به الله يا رسول الله.

قال - عليه السلام -: ما مثل خالد من جُهِّلَ الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجَدَّهُ مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له، ولقدمناه على غيره.

وأسرع الوليد فكتب بما قاله رسول الله - ﷺ - الى اخيه خالد، ورغّبه في الإسلام، ودعاه لمقابلة الرسول والاستماع اليه، فكان ذلك اول دخول الاسلام الى قلب البطل المخزومي، وسرعان ما حزم امره وشد رحاله الى مدينة الرسول وانضم الى موكب النور الإلهي..

مرض الوليد وموته :

ومرض الوليد بن الوليد بن المغيرة مرضاً شديداً، وأحسّ بدبيب الموت يسري في جسده، وعاده رسول الله - ﷺ - فقال له الوليد : يا رسول الله، حُسِرتُ، وأنا ميِّت، فكفني في فضل ثوبك واجعله مما يلي جلدك . .

ومات الوليد من ليلته، وكفّنه رسول الله - ﷺ - في قميصه .

ودخل رسول الله على ام المؤمنين ام سلمة، وهي ابنة عم الوليد، فنعاه إليها .

قالت ام سلمة - رضى الله عنها -: جزعت حين مات الوليد بن الوليد جزعاً لم اجزعه على ميت، فقلت : لأبكينّ عليهِ بكاءً تحدث به نساء الأوس والخزرج، وقلت : غريب توفي في بلاد غربة، فاستأذنت رسول الله - ﷺ - فأذن لي بالبكاء، فأنشأت اقول :

يا عينُ فابكي للوليد بن الوليد بن المغيرة
قد كان غيثاً في السنين، ورحمه فينا منيرة
ضخم الدسيعة ماجداً، يسمو الى طلب الوتيرة
مثل الوليد بن الوليد ابي الوليد كفى العشيرة

فلما سمعها رسول الله - عليه السلام - قال لها : لا تقولي هكذا يا ام سلمة، ولكن قولي : وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد .

وتجمعت نساء الانصار في بيت ام سلمة، واخذن في البكاء على الوليد، ولما ارتفعت اصواتهن ووصلت الى مسامع الرسول - ﷺ - قال لمن حوله من الصحابة : ما اتخذوا الوليد الا حنانا .

رضى الله عن الوليد بن الوليد بن المغيرة ومن دخل الاسلام من ذويه بني مخزوم . . .

«اذا أحببتم أن تنظروا الى رجلٍ نصر الله ورسوله بالغيب، فانظروا الى عمير بن عدّي»

حديث شريف

عمير بن عدي الخطمي

إيمان الأنصار

عنـدمـا أكـرم الله أهـل يثـرب بأن فتـح قلوبهم للإيمان آمن بالدعوةنفر منهم فازوا بقصب السبق على من سواهم من قومهم، وكان المؤمنـون من كل فخذ من افخاذ قبيلتي الأنصار؛ الأوس والخزرج، يجاهدون جهاد الأبطال في الدعوة الى الإسلام بين ذويهم، وكان بنو خطمة من اكبر افخاذ الأوس، اسلم منهم رجلان، اسبقهم إسلاماً عمـير بن عدي ثم تبعه خزيمة بن ثابت، واخذ هذان الصحابيان الجليلان على عاتقهما دعوة بني خطمة الى الإسلام.

ذو الشهادتين!

كان خزيمـة بن ثابت مبصراً، امـا عمير بن عدي فقد كان كفيف البصر، وكان لكلا الرجلين جهاده في الدعوة الى الله، وعلى الرغم مما ابتلي به عمير من كف البصر الا ان هذا الابتلاء لم يمنعه عن القيام بواجبه نحو دينه. وكان مما قام به في سبيل الله عملية فدائية نالت رضى رسول الله - ﷺ - واعجاب اصحابه رضوان الله عليهم.

اما اخوه في الدم والعقيدة خزيمة بن ثابت فقد حاز لقباً جليلاً فدعي بذي الشهـادتين وذلك لان رسول الله - ﷺ - جعل شهادته بشهادة رجلين اثنين، اما كيف كان ذلك، فهذا تفصيل له:

ابتاع رسول الله ـ ﷺ ـ فرساً من اعرابي، ولما ذهب ليعطيه ثمنه كان ناس قد ساوموه عليه فزادوا على سوْم رسول الله ـ عليه السلام ـ، فلما جاء الرسول الاعرابي، قال الاعرابي: اذا كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه والا بعته.

فقال النبي ـ ﷺ ـ: ألستُ ابتعته منك؟

قال الاعرابي: لا، والله ما بعتُكَهُ!

فقال ـ ﷺ ـ: بل قد ابتعتُه منك.

فاجتمع الناس على رسول الله ـ ﷺ ـ وعلى الاعرابي وهما يتراجعان، وطفق الاعرابي يقول: هَلُمّ شهيداً يشهدُ أني بعتك!

فقال المسلمون للاعرابي: ويحك، ان رسول الله ـ ﷺ ـ لم يكن ليقول الا حقا.

وبقي الناس في اخذ وردّ مع البدوي حتى جاء خزيمة بن ثابت واستمع الى تراجع رسول الله والاعرابي، والاعرابي يقول لرسول الله: هلمّ شهيداً اني بايعتك.

فقال خزيمة: أنا أشهد أنك بايعته يا رسول الله، صلى الله عليك.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: يا خزيمة. بم تشهد ولم تكن معنا؟

قال خزيمة: يا رسول الله، انا اصدقك بخبر السماء ولا اصدقك بما تقول؟

وعندئذ جعل رسول الله ـ ﷺ ـ شهادته بشهادة رجلين، ودُعي من يومئذٍ بذي الشهادتين.

تحطيم أصنام بني خطمة

لم يستطع عمير بن عدي وخزيمة بن ثابت الخطميان أن يصبرا على رؤية قومهما وهم يسجدون للأصنام، فأخذا يغيران عليها سرّاً ويحطمانها لعل بصائر القوم تتفتح على الحقيقة، ولعلهم حين يدركون ان هذه الاصنام لا تستطيع ان تدفع عن نفسها ضراً فضلاً عن أن تدفع عن غيرها كما يظنون تنجاب عن اعينهم الغشاوة فيهتدون للنور الذي ما زالوا عنه معرضين...

ولكن قومهم تمادوا في غيهم، وأصروا على ضلالهم، وتمسكوا بأصنامهم، بل ان الاعتداء على الاصنام لم يزدهم الا اعراضاً عن الاسلام، فكان هذا الحال الذي أصرّ عليه بنو خطمة يحزن عميراً وخزيمة اللذين كانا يحبان لقومهما الخير ويسعيان في تقريبهم منه..

وتمادى بنو خطمة في عدائهم لله ورسوله، وظهر فيهم رجال ونساء جاهروا بهذا العداء وذهبوا فيه كل مذهب...

معركة بدر تخرج أضغان المشركين

كانت معركة بدر حافزاً للمشركين ليكشفوا عن مشاعرهم ويخرجوا اضغانهم، فعندما وردت الانباء بالنصر المبين لجبهة المسلمين نزلت بالمشركين النوازل، فباحوا بما في صدورهم من غل وحقد على الاسلام ونبيه واتباعه، وراحوا يسخرون من انتصار المسلمين واخذوا يهزؤون ببطولاتهم.

وكان من اكثر الناس ضيقاً بهذا النصر الإلهي في بدر قوم عمير بن عدي بنو خطمة، وكان من أشد بني خطمة ضيقاً بهذا النصر امرأة رجل منهم يقال لها عصماء بنت مروان، فقد جاهرت في العداء، ولجّت

بالخصومة، وبالغت بالكيد للاسلام وأهله، وكان اخطر اسلحتها هذه الاشعار التي تنظمها في ذم المسلمين والتحريض عليهم، وكان الشعر في ذلك العهد من اخطر الاسلحة التي يشهرها الناس في وجوه خصومهم، وكانت هذه المرأة تنفث اشعارها فتثير الناس على المسلمين، وكان مما قالته في رسول الله - ﷺ -:

أطلعتُم أتاوِيّ من غيركم ... فلا من كُراد ولا مَذْحِج
تُرَجُّونَهُ بعد قتل الرؤوس ... كما يُرتَجى مَرَقُ المُنْضَجِ
ألا أنِفٌ يبتَغي غِرّةً ... فيَقْطَعُ من أمَلِ المُرْتَجى

ولما سمع عمير بن عدي هذا الشعر الذي تعرض فيه عصماء برسول الله وتحرض على قتله، أثاره أن يكون هذا التعريض وذلك التحريض من قومه، فقرر بينه وبين نفسه ان يخلص المسلمين من مشركة بني خطمة، وقال لنفسه: لئن رد الله رسوله سالماً من بدر لاقتلنها.

وعندما عاد رسول الله - ﷺ - من بدر، وسمع شعر عصماء، خشي مغبته على المسلمين، فالتفت الى اصحابه وقال لهم: ألا آخذٌ لي من ابنة مروان؟

وزادت كلمات رسول الله عزم عدي على قتلها، وصمم على المبادرة بذلك حتى لا يزداد اذاها للمسلمين، وحتى لا تنتشر اشعارها فتقوي من عزم المشركين...

عمير يقتل عصماء:

كان عمير كفيف البصر... ولكنه كان نافذ البصيرة، رتب اموره جيداً، فأتى بيت عصماء وقد هجع قومها وناموا، فدنا من البيت فاذا هي نائمة في الفناء وحولها بنوها، وكانوا ذوي عدد، فتحسسهم حتى عرفها من بينهم، فأغمد فيها سيفه حتى انفذه من ظهرها، وخرج مسرعاً قبل ان يتنبه اليه بنوها فيلحقوا به...

وأفاق ابناء عصماء فوجدوا أمهم سابحة في دمائها، فاضطربوا لهذا الذي رأوه، وساد البيت الهرج والمرج، ووصل الخبر الى كل بيت من بيوت خطمة، فاجتمعوا حول بيتها، وكلهم يسأل: من قتل عصماء؟ وتسابق الجميع في اطلاق التهديد والوعيد، وتمنوا لو عرفوا قاتلها حتى يثأروا منه ويلحقوه بها.

نصرت الله ورسوله يا عُمير

لم يغمض لعمير جفن بعد تنفيذه لعمليته الفدائية، فقد قتل امرأة عزيزة الجانب يحيط بها عدد من الابناء الشجعان، كما يغضب لها قومها من بني خطمة وهم ذوو عَدَدٍ وَعُدَّة وذوو شجاعة ونجدة، وبقي ساهرا حتى ارتفع صوت بلال بالنداء للصلاة، فخف الى مسجد الرسول ليبلغه ويبشره بالخلاص من مشركة بني خطمة التي كانت تؤلب على الاسلام ونبيه.

وأدى عمير صلاة الصبح خلف سيد المرسلين، وعندما سلم الرسول من الصلاة، التفت الى عمير وفاجأه بقوله: اقتلت ابنة مروان؟

قال عمير: نعم يا رسول الله.

قال ـ عليه السلام ـ: نصرت الله ورسوله يا عمير.

لا ينتطح فيها عنزان[1]

اطمـأن عمير على رضا رسول الله لما فعل، وأحب ان يعرف صدى ونتائج قتل هذه المرأة الضالة، فالتفت الى رسول الله - ﷺ - وقال: هل علي شيء من شأنها يا رسول الله؟

فقال رسول الله - ﷺ -: لا ينتطح فيها عنزان.

كان عمير يظن ان عصماء هذه ذات منعة وقوة في بنيها وقومها، وانهم لا بد ثائرون بقاتلها، ولم يكن يتصور ان قلوبهم هواء، وانهم سوف يجبنـون هذا الجبن الذي يخزي ويذل، ولكنه الاسلام الذي ينـزل الرعب بأفئدة من عاداه وينزل السكينة على قلوب من والاه، وادرك عمير ان امر عصماء بنت مروان تافه، ولن يكون له عواقب، فقـد كان تعبـير رسول الله - ﷺ - عن ذلك من جوامع الكلم التي اختص بها - عليه السـلام - . . . نعم لا ينتـطح في امر هذه المرأة المشركة عنزان!

البصير . . ناصر الرسول

تحلق المهاجرون والانصار حول عمير بن عدي وكلهم يسأله: كيف قتلت عدوة الله؟ وعمير يشرح لهم كيف تمكن منها حتى خلص المسلمين من شرها.

والتفت رسول الله - ﷺ - الى اصحابه وقال لهم: اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير بن عدي.

وعندئذ شاع في الحاضرين جو من البهجة والسرور، فقد غدا أخوهم ناصر الله وناصر رسوله، وهذا شرف يتمنى كل منهم لو سمع رسول الله يصفه به، بل ان كثيرا من الصحابة تمنى لو تتاح له فرصة

---

(١) لا ينتطح فيها عنزان: أي ان شأن قتلها هيِّن لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

كالتي اتيحت لعمير حتى يكتسب شرفاً كهذا الذي فاز به عمير، وحتى يحصل على وسام من هذه الاوسمة التي يُزيّنُ بها ابطال الاسلام تاريخهم ويخلدون بها اسماءهم . . ان اوسمة الرسول هي تلك الالقاب التي يطلقها على اصحابه كلما امتاز احدهم بعمل يؤهله لها .

وحاز عمير على اعجاب الصحابة مهاجريهم وانصارهم ، وكان من اشد الصحابة اعجابا بعمير وعمله عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال لمن حوله : انظروا الى هذا الاعمى الذي تشّرى في طاعة الله تعالى .

فنظر الرسول ـ ﷺ الى عمر وقال له : لا تقل الاعمى . . ولكنه البصير.

فكيدوني جميعاً

ملأ قلب عمير شعور بالأمان ، ألم يقل له رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى : لا ينتطح فيها عنزان؟ لذا فقد خرج من مسجد رسول الله وتوجه الى منازل بني خطمة حيث يتجمع الخطميون للتشاور في امر ابنة مروان ، انهم يعلمون ان قاتلها منهم ، فما كان لرجل من غيرهم ان يدخل عليهم ليلا دون ان يحس به احد ، اذن فالقاتل لا بد ان يكون واحدا من اثنين ، عمير بن عدي وخزيمة بن ثابت ، فهما اللذان خالفا بني خطمة ودخلا في دين محمد . . .

وعندما طلع عليهم عمير بن عدي نظروا اليه بعيون الريبة وقالوا له : أنت قتلتها يا عمير؟

والتفت اليهم عمير باستخفاف وقال لهم بعزة وتحدٍّ : نعم أنا قتلتها ، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . وبُهت الذين كفروا ، وداخلهم الرعب ، فلم ينبسوا ببنت شفة .

عندئذ قال لهم عمير: يا بني خطمة، والذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى اموت او اقتلكم.

وران الصمت على المكان.. ولم يجرؤ احد ان يرد على عمير قوله...

وانصرف عمير الى اخوانه من المسلمين، اما بنو خطمة فقد انصرفوا الى قتيلتهم فحملوها الى حيث أهالوا عليها التراب.

شاعر الرسول يمدح عميراً

وطار حديث عمير وبطولته في الآفاق، واصبح قتله لعدوة الاسلام حديث المجالس في يثرب، وغدا موقف بنيها وقومها مثار السخرية والهزء، وكان لحديث عمير مع عصماء في شعر حسان نصيب، فقال يتندر بأعدار الله ويمدح عميرا[1]:

بنو وائلٍ وبنو واقفٍ وخطمة دون بني الخزرج
متى ما دعت أختكم ويحها بعولتها والمنايا تجي
فهزت فتىً ماجداً عرقه كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ء قبيل الصباح ولم يحرج[2]
فأوْرَدَكَ اللَّهُ برد الجنا ن جذلان في نعمة المولج

دخول النور الى قلوب بني خطمة

لما رأى المترددون من بني خطمة عز الاسلام ومنعته، كفوا عن ترددهم، ودخلوا في دين الله، فأي بركة كانت لهذا البصير. لقد

---

(١) مغازي الواقدي، الجزء الاول ص١٧٤، نشر: عالم الكتب، بيروت.

(٢) ضرجها: لطخها، والنجيع من الدم: ما كان الى السواد، او دم الجوف.

خلصه الاسلام من عدوة حاقدة، وهدى بقتلها الى الاسلام جمعاً من قومه. . . وفشا الاسلام في بني خطمة حتى اصبح المسلمون اغلبهم، وحتى غدا المشركون منهم يتسترون بالنفاق!

قارىء بني خطمة وإمامهم

كان عمير حريصاً على حفظ القرآن، ندي الصوت بتلاوته، وكان قومه يحبون الاستماع اليه، فغدا قارئهم الذي يحفظون عنه آيات الكتاب الكريم، وجعله رسول الله - ﷺ - امامهم للصلاة، يؤمهم في مسجدهم الذي اقاموه في حيهم.

مرض عمير ووفاته

مرض عمير على عهد رسول الله - ﷺ - واشتد عليه المرض، فقال رسول الله لاصحابه: انطلقوا بنا الى البصير الذي في بني واقف نعوده.

ونهض الصحابة مع رسول الله - عليه السلام - ودخلوا على عمير، فَسُرَّ برسول الله وبهم، وارتاح فؤاده للعيادة الكريمة واطمأنت نفسه، فعيادة رسول الله له في بيته دليل على رضاه عنه. . .

وانتقلت روح عمير بن عدي البصير. ناصر الله وناصر رسوله الى بارئها راضية مرضية، وبقي ذكر عمير بين الصحابة فوّاحاً العبير، واستمرت سيرته عبر القرون تنبينا عن رجل صدق الله ايمانه فرضي عنه وارضى عنه المسلمين جميعا.

قال الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم* ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت: لا أجد ما أحملكم عليه، تولّوا وأعيُنُهم تفيضُ من الدّمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون*﴾.

صدق الله العظيم

الأيتان ٩١، ٩٢ من سورة التوبة

سالم بن عمير

مؤمنون وكافرون

عندما أشرقت شمس الاسلام بنورها على يثرب اضاءت قلوبا وغمـرتهـا بالايمان وعشت عن نورهـا أعـينٌ فاسودت منها القلوب وأظلمت منها العقول فازورت عن الايمان وبرمت بالمؤمنين وناصبتهم العداء.

وقد أصابت هذه الحال بعضاً من قبائل الانصار، فكان منهم المؤمنـون المخلصون في ايمانهم المضحُّون في سبيل إسلامهم، وكان منهم الكافرون المتمادون في ضلالهم المبالغون في عدائهم.

ومن قبائل الانصار التي انقسمت بين الفريقين قبيلة من الأوس هم بنو عمرو بن عوف، فكان من مؤمنيهم الصادقين سالم بن عمير، وكان من كافريهم الحاقدين رجل من سراتهم يدعى أبو عفك.

أبو عفك .. اليهودي

كان أبو عفك عربيا من بني عمرو بن عوف تأثر بجوار اليهود للأوس في يثرب فآمن باليهودية ودان بها وتعصب لها.

وعنـدمـا وصل الرسول ـ ﷺ ـ إلى يثرب ناصبه يهود العداء لانهم رفضوا ان يكون النبيُّ الخاتم من غيرهم، وهم من قبل رفضوا ان يؤمنوا بأي نبي من غير بني اسرائيل.

كان عداء اليهود للنبي ودينه يتقلب بين السرِّ والعلن، فهم تارة يُسرون بهذا العداء ويكتمونه، وتارة اخرى يجهرون به ويعلنونه، وكان من بينهم نفرٌ ابوا ان يسروا عداءهم، فأعلنوه وجاهروا به وبالغوا فيه، وكان هؤلاء النفر من العرب الذين دانوا باليهودية وآمنوا بها، وعلى رأس هؤلاء كان ابو عفك ومثله كان كعب بن الاشرف، فأبو عفك أوسي وكعب بن الاشرف طائي!

كان المـوقف المنطقي لليهود ان يؤمنوا بالرسول ـ ﷺ ـ وهو مكتوب عندهم في التوراة..

وكان الموقف المنطقي لهم اذ لم يؤمنوا ان يكونوا للنبي حلفاء، فهم اهل كتاب والرسول صاحب كتاب...

وكان الموقف المنطقي لهم اذ لم يفعلوا هذا او ذاك ان يحفظوا حق الجـوار، فالـرسول ـ ﷺ ـ جار لهم في المدينة، وكان عليه الصلاة والسلام خير من حفظ الجوار ورعاه.

ولكن اليهود، كعادتهم، لم يكونوا منطقيين مع انفسهم او مع الاحداث التي تدور من حولهم، فقد انكروا رسالة الرسول، وحالفوا المشركين ضد الموحدين، واختاروا الوقوف الى جانب مشركي مكة، على بعد الشقة بينها وبين المدينة، ضد من جاورهم من المسلمين في يثرب.

اشتعال الاحقاد بعد بدر

وعندما انتصر المسلمون في بدر، ووصل البشير بأخبار النصر المبين الى يثرب لم يصدق اليهود النبأ او لم يريدوا ان يصدقوه، فقد كانوا يعتبرون انتصار الاسلام هزيمة لهم وإضعافا لمكانتهم في المدينة، لذا وقفوا من النصر مواقف متباينة كلها تدل على حقدهم الدفين للاسلام والمسلمين، فقد كانوا بين مشكك في النصر وبين هازيء به وبين مهدد بالانتقام لقتلى المشركين من قريش

وشرعوا في إيذاء المسلمين، ولم يكفوا عن الايذاء حتى بعد عودة الرسول الى المدينة يقود خلفه سبعين من الاسرى المقرنين بالحبال والاصفاد، بل ان ذلك زاد في احقادهم، فزادوا لذلك في ايذائهم . . .

وتولى كبر المجاهرة بالعداء نفر من العرب المتهودين على رأسهم ابو عفك الاوسي.

ولم يمنع ما بلغه ابو عفك من سنٍّ أربت على المائة، وقيل انها بلغت مائة وعشرين، من التصدي للاسلام واهله، فراح يذمهم في مجلسه، واجتهد في الصدّ عن الاسلام وبالغ في هذا الاجتهاد، وكان من اشد وسائله خطراً هذه القصائد التي اخذ يقولها في ذم الرسول ورسالته والمؤمنين ودعوتهم، وكان مما قاله في ذلك مخاطباً المسلمين من قومه الأوس:

قد عشتُ حيناً وما إن أرى	منَ الناس داراً ولا مَجْمعا
أجمَّ عقولاً وآتى الى	منيب سراعاً إذا ما دعا
فَسَلَّبَهُمْ أمرَهُم راكِبٌ	حراماً حلالاً لشتّى معا
فلو كان بالملكِ صَدَّقتُمْ	وبالنَّصْرِ تابعتُمْ تُبَعا

سالم بن عمير يقتلُ أبا عفك

ساء سالَم بن عمـير ما كان يسمعـه من ابي عفـك من سب المسلمين والسخرية بهم، وساءه اكثر من ذلك ما سمعه من اشعار ابي عفـك في ذم المسلمين ودعوة الناس للتخلي عن الاسلام والرسول، وخشي من تأثير أبي عفك على قومه، فقد كان فيهم سيدا وكان للشعر عليهم سلطان . . .

وفكر سالم في طريقة يقطع بها لسان هذا الرجل الحاقد، وطاف فكره يبحث فيما فعله رسول الله في امثال هذا الرجل، فوجد ان رسول الله لم يكن يسكت عن هؤلاء الشعراء الذين يُشهّرون بالدعوة وبالدعاة بشعـرهم، وتذكر ما كان يطلبه رسول الله من اصحابه عندما يبلغه أذاهم بهذا الشعر الذي ينمقونه فيزينون به الكفر ويبغضون به الايمان الى الناس، فقد كان الرسول يلتفت الى اصحابه ويقول لهم: من لي بفلان؟ فيفهم الصحابة ان الرسول يريد قتله فينتدب لذلك واحد من الصحـابة وينزل بالمعتدي بشعره على الاسلام وأهله العقاب الذي قرره الرسول. . قطع لسانه يقطع عنقه.إذن فالعقاب الذي يستحقه أبـو عفـك هو الموت وقرر سالم في نفسه ان يتقرب الى الله بدم هذا الكافر، وقال: عليّ نذر ان اقتل ابا عفك او اموت دونه.

وتـربّص سالم بأبي عفـك يريد ان يقتنص منه غره، فقد كان الرجل منيعاً في قومه لا يوصل اليه، وكان الجانب الضعيف فيه انه كان مغـتراً بنفسـه وبمنعتـه، يظن ان احـداً من المسلمـين لا يجرؤ على الاقتراب منه فضلاً عن قتله، فساقه غروره هذا لان ينام ذات ليلة صائفة بفناء منزله، وكانت هذه فرصة سالم فاقتنصها، لقد امهل عدوّ الله حتى استغرق في نومه، ثم تقدم منه حتى اذا كان على رأسه وضع السيف في كبده ثم اتكأ عليه حتى انفذه. . .

ودوّى صراخ عدو الله من ألم الطعنة وهول الصدمة . . . فانطلق سالم مبتعداً عنه بينما هرع اليه نفر من قومه منجدين ، فما ادركوه الا جثة هامدة . . .

والتفّ القوم حول الرجل الهالك، ونظر كل منهم الى الآخر كأنما يسأل ما العمل؟ وطال حديث العيون وصمت الألسنة الى ان قال واحد منهم : من قتل ابا عفك؟ ولما لم يتلق جواباً من احد قال : والله لو نعلم من قتله لقتلناه به . . .

وسمعت قالة الرجل المتوعد امرأة مسلمة كانت تقف معهم وتنظر الى عدو الله السابح بدمه، فردت على المتوعد ساخرة بوعيده . . . لقد كان يعلم ان قاتله من المسلمين ولكنه يجبن عنه وعن التصدي له، فقالت تخاطب المتوعد بمخاطبة القتيل :

حباك حنيفٌ آخرَ الليلِ طعنةً أبا عَفَكٍ، خذها على كبر السّنِّ!

وعلم الناس ان سالم بن عمير قد قتل أبا عفك، فسرّ ذلك المسلمين وحفظوه له، وساء ذلك المشركين والمنافقين واليهود وودُّوا لو قتلوه به، ولكن الخوف من المسلمين كان قد تمكن من قلوبهم والهيبة منهم كانت قد ملأت عيونهم . . . فتركوه يمشي بينهم يزيد في غيظهم فتغلي احقادهم في صدورهم .

سالم المجاهد

تمكن الايمان من قلب سالم بن عمير فأحب الجهاد في سبيل الله ، وكذلك هو الايمان اذا تمكن من قلب حبب اليه الجهاد في سبيل الله ، فكان حريصاً على ان يكون الى جانب رسول الله في كل غزاة يغزوها ومعركة يخوضها، فحضر بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها . . .

كان سالم بن عمـير فقـير المال غني القلب بالايمان، فكان مما يجلب الهم الى قلبه كلما دعا الداعي لغزاة في سبيل الله خشيته ان لا يتمكن من تجهيز نفسه بالسلاح والركوبة، فقد كان المسلمون على عهد رسول الله يجهز الرجل نفسه بأدوات القتال، ولكنه في كل غزاة كان يتدبر امره، فما من غزاة غزاها الرسول الا كان سالم من بين رجالها حتى كانت غزوة تبوك، فقد أمر رسول الله ـ ﷺ ـ المسلمين بالتجهّز لغزو الروم، وقد كانت هذه الغزاة في عام جدب وحرّ، كما كانت المسافة بين المـدينـة وتخوم الروم بعيدة تحتاج الى إعداد وعدة في السلاح والزاد والـركاب، واين لسالم بن عمير وفقراء المسلمين من مال يجهرون به انفسهم لهذه الغزاة؟.

وكبر الامر على سالم، كيف يغزو رسول الله غزاة لا يشارك فيها؟ وحاول ان يتدبر امره فلم يستطع، وشكا امره الى بعض المسلمين من امثاله فوجدهم مثله في هم كبير، فاستقرّ رأيهم على ان يذهبوا لرسول الله يطلبون منه العون في ذلك. . .

سالم وصحبُهُ البكاؤون

وجاؤوا رسول الله يبكون. . . يا رسول الله لا نجد مالاً نجهز به أنفسنا، فاحملنا يا رسول الله على ركوبة من عندك. . .

ولم يكن عند رسول الله ما يحملهم عليه، فردّهم بما عرف عنه من لطف ولين وحنان، فانصرفوا من عنده باكين على ما سوف يفوتهم من فضل الجهاد في هذه الغزاة. . .

وسمـع المسلمـون بقصـة هؤلاء النفـر الـذين بكوا بين يدي الرسول طالبين منه ان يعينهم ليتمكنوا من المشاركة في الجهاد، واعتذار

رسول الله لهم لضيق ذات يده... فأسرع المحسنون منهم فأعانوهم...

كانوا سبعة نفر، حمل اثنين منهم يامين بن عمير، وحمل اثنين آخرين العباس بن عبدالمطلب، وحمل الثلاثة الباقين عثمان بن عفان...

ولا تسل عن فرحة سالم بن عمير وعن غبطته وسروره، فقد يسّر الله له طريقاً الى الجهاد، ولم تكن نفس عمير تسّر لشيء سرورها للجهاد في سبيل الله.

وخلد القرآن سالم بن عمير وصحبه في كتابه العزيز، فقال جلّ من قائل:

«ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم* ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت: لا اجد ما احملكم عليه، تولّوا واعينهم تفيض من الدّمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون*[1]

وبتخليد القرآن الكريم لهؤلاء النفر من المسلمين المخلصين خلدهم اخوانهم من المسلمين، فأطلقوا عليهم لقب البكائين، واصبحوا يعرفون به منذ ذلك الحين الى يومنا هذا وسوف يعرفون به الى يوم الدين.

---

(١) الأيتان: ٩١، ٩٢ من سورة التوبة.

على الدرب . . .

وانتقل الرسول ـ ﷺ ـ الى الرفيق الأعلى، وانتقلت الخلافة الى الراشدين من بعده، واستمرت مسيرة الجهاد المباركة، فشارك فيها سالم بن عمير، ففتح المسلمون المشارق والمغارب، وسالم لا تفتر له همة في الجهاد في سبيل الله . . .

وطال العمر بالمجاهد في سبيل الله، سالم بن عمير، حتى ادرك شطراً من خلافة معاوية، وبعد ان سطّر صفحات بيضاء في كتاب الجهاد الاسلامي انتقل الى جوار ربه راضياً مرضياً . . .

الفهرس

* * *

كتب للمؤلف

١ - شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ٩ أجزاء.

٢ - أناشيد الدعوة الاسلامية ــ ثلاث مجموعات.

والكتابان بالاشتراك مع الاستاذ حسني ادهم جرار.

٣ - فدائيون من عصر الرسول ــ الطبعة الخامسة (مزيدة ومنقحة).

٤ - والله يعصمك من الناس (عرض تاريخي ادبي لمحاولات اغتيال الرسول ﷺ) الطبعة الرابعة.

٥ - أبو سفيان بن حرب ــ من الجاهلية إلى الاسلام ــ.

٦ - شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية. الطبعة الثالثة.

٧ - المطارحات الشعرية ــ قوانينها ومعجمها الشعري ــ.

٨ - ألقاب الصحابة ــ مصادرها وقصصها وأهدافها.

٩ - دواوين الشعر الإسلامي المعاصر ــ دراسة وتوثيق.

١٠ - شعراء العرب المعاصرون.

١ - **محمد محمود الزبيري**، شاعر من اليمن.

٢ - **بدر شاكر السياب**، شاعر من العراق.

٣ - **عبد الرحمن بن قاسم المعاوده**، شاعر من قطر.

٤ - **عبد الله بن علي الخليلي**، شاعر من عمان.
٥ - **حسن عبد الله القرشي**، شاعر من الحجاز.
٦ - **أحمد مشاري العدواني**، شاعر من الكويت.
٧ - **ابراهيم العريض**، شاعر من البحرين.
٨ - **صقر بن سلطان القاسمي**، شاعر من الإمارات.
٩ - **علي أحمد باكثير**، شاعر من حضرموت.
١٠ - **يوسف العظم**، شاعر الأقصى، تحت الطبع.
١١ - **عمر بهاء الدين الأميري**، عميد الشعر الاسلامي المعاصر، تحت الطبع.

رقم الايداع لدى مديرية
المكتبات والوثائق الوطنية

٣٦٤/٨/١٩٨٤م

الناشـــر
دار الضياء للنشر والتوزيع
الاردن - عمّان - مركز العبدلي التجاري
ص.ب ٩٢٥٧٩٨

